عذاب القبر

هدم الخرافات



أسامة فاخوري

عذاب القبر

هدم الخرافات



الكتاب : عذاب القبر
الكاتب : أسامة فاخوري
الصنف : دراسة
الإيداع القانوني : 2021MO5353
الترقيم الدولي : 978-9920-590-02-0
الطبعة : الأولى 2021
الناشر : دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر


عمارة 7، رقم 1 زنقة الكوفة شارع مولاي يوسف الرباط/المغرب
تلفونات : 212537702120 + جوال : 212673420256+
البريد الإلكتروني: daralwatan2018@gmail.com
صفحتنا على فيس بوك : https://www.facebook.com/daralwatan2020
التصميم الداخلي والغلاف : هند الساعدي
السحب : مطبعة بلال - فاس

مدير النشر : عبد النبي الشراط

الإهداء

إلى المرأة التي علمتني الحرية والتفكيروالحياة ...

إلى والدتي.

إلى عائلتي.

إلى كل العقول الحرة.

إلى حسن بن فرحان المالكي، وإلى كل مفكر حر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، الحمد لله الذي منّ على عباده بإرسال رسله، فأرسلهم بالهدى ودين الحق.

يعد هذا الكتاب واحداً من عدة كتب قادمة - إن شاء الله-لهدم عدة خرافات تم إلصاقها بالإسلام،نذكر منها كتابنا الحالي حول **عذاب القبر**، ثم تأتي بعده - إن شاء الله -كتب عن **حد الردة**،**الناسخ والمنسوخ وكتب الحديث** ... إلخ. وكل ما نسعى لفعله - أنا وغيري - هو تصحيح الأخطاء الموروثة التي غيرت الدين الحنيف، ومحاولة إنقاذ الأمة من الجهل، التخلف والرجعية ... .

حاولت تفكيك موضوع «**عذاب القبر**» وتسليط الضوء عليه، لنعلم هل هو عقيدة دينية ؟ أم مجرد خرافة وأكذوبة كالكثير من الأكاذيب المتوارثة ؟

وقد حاولت جمع أكبر عدد ممكن من الأدلة القطعية الدالة على هدم هذه الخرافة وهذا الصنم (**عذاب القبر**)، فالدين منها بريء براءة الذئب من دم يوسف عليه الصلاة والسلام، وأرجو أن يكون هذا الكتاب بمثابة دليل لكل باحث عن الحقيقة، ولكل منكر للثعبان الأقرع وما يرتبط به من خزعبلات.

أقول أن «**عذاب القبر**» وَقْعٌ من الخيال وعبارة عن خرافة ذات جذور فرعونية، تم دسها -دينيا -في العصر الأموي، واشتدت وأصبحت صنماً في العصر العباسي.

يسلط هذا الكتاب أنوار الحق، نور القرآن الكريم، على ظلمات الباطل، كي تذهب معه الخرافات المدسوسة والمنسوبة للدين وللنبي زوراً وبهتاناً.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسله وأنبياءه الطيبين الطاهرين.

لقد دفعت الثورة المعرفية الحديثة في علوم الطبيعة والإنسان ... المسلمين للتساؤل :

لماذا تخلف المسلم وتقدم غيره ؟

تعددت الإجابات لكن العامل المشترك بينها واحد، ألا وهو **التراث!**، ولا نعني هنا التراث بأكمله كمنظومة معرفية وما يتصل بها، بل إننا نتحدث عن كيفية التعامل مع هذا التراث الذي يحوي الغث والسمين. فمن نظر في التراث بنظارة الفيلسوف الباحث، يستخرج الدرر، أما من أقبل عليه بنظارة القدسية والعصمة لأصحاب هذا التراث، فلا محالة أنه سيتخلف ويندثر مع الزمن. فالمستقبل للعلم والأدلة والبراهين ... لا للخرافة ولتقديس الأشخاص والأقوال ... .

نعم، إن الإقبال على التراث كعمل مقدس، يقود لا محالة للتخلف والجمود والإرهاب ... ولا بدّ لنا أنْ نميّز الغث من السمين، وأنْ نُغربل ما وصلنا من كلام الرجال.

إننا نعيش اليوم في زمن يختلف تماماً عن زمن ذلك التراث، خصوصاً الزمن الذي يحاول أدعياء السلفية إرجاعنا إليه كرهاً كالبهائم أو العبيد، إن زمننا لم يعد يتقبل الخرافة وما يتبعها من جهل وفقر فكري وعقلي وروحاني ... فهذا الزمان يعترف بالعقل والعلم والفلسفة والمنطق ... ويعتز

ويستدل بهم على كل شيء، ولا قيمة - اليوم - لمن يحارب هذه المعارف أو يقف ضدها. والمستقبل سيكون أشد نوراً وتوهجاً من ذي قبل، فهذه سنة الله في خلقه، ولا عزاء لمن يحارب هذا النور الرباني.

وأقتبس - بتصرف - هنا كلاماً لبلال التل يتحدث فيه عن حال الأمة ورؤية وحيد الدين خان لذلك ومحاولة الإصلاح، إذ يقول إنّ الأمّة قد ماتت منذ زمن بعيد، ولم يعد هناك أمل في إحياء هذه الأمّة إذا ظلّ المشايخ يعملون في ظلّ السّلطات الحاكمة، وفي أقبية المخابرات، فقد رأى - وحيد الدين - أنّ هناك مشكلتين تهدّدان الإسلام، مشكلة الإلحاد، فكتب فيه **القضيّة الكبرى، والإسلام يتحدّى**، ورأى أنّها مشكلة قصيرة المدى، ولكنّها خطيرة، لكنّ المشكلة الطويلة والصعبة والمعركة الحقيقيّة هي مشكلة الفهم الخاطئ للمسلمين للدين، فكتب فيه جلّ كتبه، ومن أعجبها كتابه **(من نحن)**، بالفعل من نحن ؟ لقد ذهب إلى السعوديّة وجلس إلى شيخ سعودي لم يذكره، فقال له خان : ما هي مشكلة المسلمين؟ لماذا نحن متخلّفون ؟ فقال له الشيخ : نحن لسنا مسلمين على الحقيقة ! إنّنا مسلمون بالقليل من الإسلام، لكن أين الإسلام في حياتنا ؟ الناس لا يفهمون من الإسلام غير الاستعمار والقتل ! لكن أين الدعوة إلى الله؟ أين التضحيّة لأجل التوحيد ؟ أين الإحسان إلى الخلق ؟ فكتب خان كتابا عظيما سمّاه **(من نحن)**، وملخّص كتابه : إنّ المسلم فقد هويته الإسلاميّة، نحن في سوء فهم للإسلام، ينبغي تصحيح المفاهيم الإسلاميّة لكنّ المشايخ في الهند وفي بلاد العرب لا يرغبون بهذا التجديد، لأنّ هذا يفقدهم امتيازاتهم الدنيويّة الزائلة.

وفي المجمل فإن هذا كلام صحيح وواقعي، وما زلنا نعاني منه ليومنا هذا مع الأسف. فهل سنظل هكذا ؟ أم حان الوقت لثورة فكرية معرفية كي نصلح أنفسنا ونتقدم ؟ إن الإجابة موجودة عند كل فرد منا.

إن التنزيل الحكيم كتاب الله المعجز، بألفاظه وبيانه وبلاغته، وبتشريعاته وأحكامه وغيبياته، وبسننه وأخباره ... لذلك كان هذا الكتاب

المعجزة الكبرى عبر التاريخ، ومما نُقل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال عن كتاب الله عز وجل «هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا **{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}** من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم». (سنن الترمذي)

وفي نهج البلاغة نُسب لعليّ عليه السلام أنه قال «فإن الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره ...».

قد يقول قائل أن الحديث الأول وإن ذكره الترمذي في سننه، فقد قال عن إسناده أنه مجهول. ونسبة نهج البلاغة بأكمله لعليّ فيه نظر وكلام كثير ...

فأقول : إن منهجي في التعامل مع الأحاديث والأقوال المنسوبة للرجال عامة، يختلف عن تعامل جل الفقهاء والشيوخ بمختلف مدارسهم (شيعة، سنة، إباضية، معتزلة ...) وفي نفس الوقت يتفق مع بعضهم، فلا أكترث بصحة السند أو ضعفه، فالأساس عندي هو المتن أولاً، فإن وافق المعقول والمنقول - أي القرآن الكريم - صدقتُ متنه ومعناه، وأركن إليه كقرينة للفهم والاستئناس، ولا أحتج به لوحده فقط. فالحجة عندي هو كتاب الله فقط. لذلك فلا يستغرب القارئ تعاملنا مع الأحاديث الواردة في هذا الكتاب، فذكرنا للأحاديث عبارة عن إلزام لمن آمن بها واتخذها حجة،وهذا منهجنا نعرضه ولا نفرضه على أحد.

ونعود للقرآن الكريم مرة أخرى، فهو الكتاب العظيم صاحب النبع الثري، عمدة الدين ومصدره الوحيد، فلا هدى ولا صلاح إلا باتباعه والاحتكام إليه، ومن بحث عن أمور الدين في كتب أخرى غيره فقد ضلّ. فهو مصدر الاعتقاد والتشريع والمعرفة الدينية ... الوحيد، فهو المصدر

الثابت القطعي الذي لا يحتمل الشك كغيره من الكتب، وهو الذي لا يأتيه الباطل مصداقاً لقوله عزوجل **{لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}**.

شرع لنا الله عزوجل شريعة خاتمة تهدي للصلاح والعدل في الدنيا، وتقود - لا محالة - للجنة في الآخرة.إن الشريعة الخاتمة محفوظة بحفظ الله عزوجل لها، وهذا الحفظ الإلهي لا يتم إلا بحفظ المصدر الأساسي لهذه الشريعة، ومصدر هذه الشريعة هو التنزيل الحكيم قال عزوجل **{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**.

ولم يترك الله عز وجل شيئاً إلا وأحصاه في التنزيل الحكيم يقول سبحانه وتعالى **{مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ} {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}**، فالقرآن العظيم هو الأصل الجامع لأمور الدين، من عقائد وعبادات وشعائر ... وبما أن العقيدة أصل الدين، كان لزاماً على الشارع توضيح هذا الأصل أولاً، كيف لا ؟! والعقيدة أولاً.

ومن تتبع سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، سيجدهم اهتموا أولاً بالعقيدة اهتماماً عظيماً، واهتموا بأصل العقيدة ألا وهو التوحيد **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}**.

والاعتقاد لغة معناه التصديق والاقتناء ... واصطلاحاً عرفها - العقائد - ابن تيمية «الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك» وهذا كلام عام، أما تخصيصه فهو ما ذكره الشهرستاني حين قال «الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم ...».

لذلك أكد الله عزوجل في كتابه الكريم على أمور العقيدة وذكرها بأكملها دون تركها للظن والشك، فنجد قوله عزوجل **{آمَنَ الرَّسُولُ**

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}** والآيات عديدة في هذا الباب توضح ذلك وتؤكده، وسنعرض لها بالتفصيل.

ونجد نفس الأمر في الأحاديث، وإن كانت محل خلاف بيننا وبين الطرف الآخر، فكثيرة هي الأحاديث التي تتحدث عن أمور العقيدة كحديث جبريل وغيره من الأحاديث، لكنها نصوص مفسرة موضحة لأصول جاء بها الكتاب الحكيم لا نصوص مؤسِسة.

وقد تعرضت جميع الشرائع والرسل لهذا الموضوع الأساسي، فكانت دعوتهم جميعاً متشابهة ومتفقة في هذا الباب العظيم، خصوصاً مسألة اليوم الآخر وما يرتبط بها من نعيم وعذاب، ومن أراد معرفة عظمة هذه العقيدة فليراجع جميع السور المكية، حيث اهتمت كثيراً بمسألة اليوم الآخر وما يرتبط به، لدرجة ذكره والتأكيد عليه في أكثر من 1500 آية قرآنية، وحاولت الآيات تصحيح بعض التصورات الخاطئة عند البعض، وهذا الاختلاط لدى أهل قريش لم يكن بدعاً أو أمراً خاصاً بهم، بل أغلب الناس ومن مختلف البقاع تأثروا بالحضارات السابقة وتصوراتها بخصوص أغلب المسائل، خصوصاً مسألة ما بعد الموت، كالحضارة الفرعونية واليونانية والهندية ... في حين أنكر البعض البعث واليوم الآخر، وبما أن الناس كانت مختلفة حول هذا الأمر، فقد جاء القرآن الكريم موضحاً للحقيقة.

رغم أن القرآن الكريم وضح مسائل الاعتقاد بشكل قاطع، إلا أننا نجد اعتقادات فاسدة عند من ينتسب للإسلام، ومن أعظم هذه الاعتقادات الفاسدة مسألة «**عذاب القبر**».

لذلك حاولنا دراسة هذه المسألة الشائكة في الفكر الإسلامي عبر تاريخه الطويل، وعرضناها على ما ذكره كتاب الله عز وجل، ثم خرجنا بنتيجة مفادها أن هذه العقيدة المزعومة ليست سوى خرافة من الخرافات التي انتسبت للإسلام، والإسلام منها بريء.

من المخزي أننا في القرن الواحد والعشرين وما زلنا نتحدث عن هكذا أمور، لكن اقتضت الضرورة أن نوضح بعض الخرافات التي يؤمن بها بعض أهل الإسلام، وأن نجتثها من جذورها العفنة الضارة، لذلك من اللازم علينا أن نوضح المسألة ونفصّل رأي الدين فيها بعيداً عن كل هراء

وقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن «**عذاب القبر**» بين مؤمن به ومنكر له، المنكر استدل بتعارض هذه الفكرة مع صريح القرآن الكريم والشرع والعقل والعلم، والمؤمن به استدل بأحاديث آحاد لا تسمن ولا تغني من جوع، لأنه يستحيل الجزم بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال تلك الكلمات، ولو استندوا لعلم الدراية لردّوا كل ما استدلوا به !.

ولا همّ للمتاجر باسم الدين إلا ذكر هذه الخرافة بين الفينة والأخرى، للضحك على عقول الناس وبيعه الوهم إليهم. فالمسألة خلافية أولاً، وهذا ما لا يتم ذكره إطلاقاً، وللمسألة جذور فرعونية مصرية قديمة، وتعارض روح الإسلام والقرآن.

إننا ندفع ثمن تقليدنا الأعمى لمن سبقنا بغير علم ولا دليل، فالسلف فيهم الصالح والطالح، وفيهم المخطئ والمصيب، لذلك فالدليل هو الميزان الذي نعتمد عليه، وأظن أن المشكلة التي نعاني منها هي الإيمان بالدين المزيف، ذلك الدين الذي استغله الحكام حتى يتناسب مع أمور قصورهم وحياتهم الدنيوية البعيدة عن الدين.

فقد استغل الحكام سلطتهم السياسية القوية واعتمدوا على الإكراه الفكري والماديلاستغلال الدين وما يحيط به شر استغلال، فظهر نوع من البشر يختلق الحديث وينسبه للنبي عليه الصلاة والسلام كي يرضي هوى الحاكم الفاسد، ثم ظهر نوع آخر ينسب للنبي كل قول حسن وإن لم يقله،

مستدلين على ذلك بأنهم يرونه حسناً والنبي أولى من غيره بهذا القول، وهذه فضيحة علمية فكرية.

يجب الاعتراف بأن السابقين صاغوا شروطاً قوية لقبول الخبر المنسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لكن، مع الأسف، خولِفَت هذه الشروط عند التطبيق والتحقيق، على سبيل المثال رواية المجهولين، ففي القواعد لا تقبل، لكننا نجدهم في التطبيق قد قبلوها تحت مسمى التوثيق بالسبر ... والشواهد كثيرة على هكذا مخالفات، ولو فصلنا فيها لاحتجنا لكتب ومجلدات كبيرة.

لا بد من التمييز بين التنزيل الحكيم من جهة، وبين ما يأتي بعده (حديث، فقه، فتوى ...) من جهة أخرى، وما أهلك هذه الأمة إلا مساواة كلام الله عزوجل مع ما دونه، ووصل الأمر ببعض العقول المعلولة بتأخير كلام الله عزوجل لأدنى المراتب، كقول بعضهم «السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة» !! فانظر رحمك الله لهذا الخبل الفكري المعرفي، ويوجد في التراث ما يندى له الجبين وما تشيب له الرؤوس.

لكن ولله الحمد فإن العالم الإسلامي اليوم يعيش حالة فكرية غير مسبوقة، فأصبحنا نرى المراجع الدينية والفقهاء والشيوخ ... ينتقدون التراث ويحاولون غربلته من السموم والخرافات على الجانبين الشيعي والسني، وقد أحسنوا فعلاً.

فكل القراءات الفقهية والتفسيرات تعتبر من التراث البشري، لا الوحي الإلهي، لذلك وجب تمحيصها ودراستها دراسة نقدية حتى يتبين غثها من سمينها، فالسلف اجتهدوا وفق ظروف عصرهم، والمعرفة أسيرة أداوتها، لذلك نحاول اليوم أن نشتغل بأدوات معرفية جديدة ومتطورة ومتقدمة لتساعدنا في البحث والتدقيق، وقد تكون حركتنا هذه عبارة عن تكميل وتطور لما فعله من سبقنا من عقول، وهذا لب الحياة والسيرورة الدائمة، بل إن هذا لسُنَّة من سنن الخلق، فتبارك الله أحسن الخالقين.

محتوى الكتاب

توزّع الكتاب على 3 فصول ومقدمة وخاتمة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع والفهرس.

في الفصل الأول وعنوانه «بداية خرافة عذاب القبر»، سلطنا الضوء على ما يستند إليه القائل بعقيدة عذاب القبر، والحديث هنا عن الأحاديث المنسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام، خصوصاً تلك التي يرويها القُصّاص. لذلك وضعنا تمهيداً لهذا الفصل وضحنا فيه - بالأرقام - ما يرتبط بالأحاديث عموماً والقصّاص خصوصاً. ثم انتقلنا للحديث عن «بداية الخرافة» ومنأين تأثربها المنتسبون للدين الخاتم، ثم التركيزأكثر على زمن بداية هذه العقيدة والحديث عن الحالة السياسية والفكرية لذلك العصر.

في الفصل الثاني وعنوانه «أدلة أصحاب عذاب القبروالرد عليها»، سلطنا الضوء أولاً على بعض المصطلحات المرتبطة بهذه العقيدة، كمنكر ونكيروالشجاع الأقرع !. ثم عرضنا أدلتهم الحديثية أولاً بعدها الأدلة القرآنية، وقصدنا هذا التقديم لأن حجة هؤلاء هي الحديث وحده، أما القرآن فقد استشهدوا به بعد أن استشكل عليهم منكروا هذه العقيدة لعدم وجود أدلة في الكتاب الكريم.

بعد ذلك عرفنا مصطلح العقائد، ثم مصطلح الحديث وما يتعلق به من متواتروآحاد. وبعدها سلطنا الضوء على منهجهم وتوضيح أنه سبب إصرارهم على الاعتقاد بهذه الخرافة. ثم انتقلنا للرد على أدلتهم ووضحنا ضعف الأحاديث التي يستندون إليها سنداً ومتناً. ثم ذكرنا بعض الأحاديث

المتناقضة مع دعواهم الأساسية، وحللنا بعض الأحاديث التي يستندون إليها لبيان نكارة متنها، وسلطنا الضوء على حيثيات هذه الخرافة كمانعات العذاب !!.

ثم ذكرنا من ينكر هذه العقيدة المزعومة من فِرق المسلمين، كالمعتزلة والخوارج والإباضية وبعض الشيعة والسنة ... ثم انتقلنا للحديث عن بعض المغالطات المنطقية التي يقع فيها القائل بعذاب القبر. وفي الأخير فصلنا الكلام في الرد على أدلتهم القرآنية، وبيان بطلان تأويلهم لكل الآيات المستند إليها من طرفهم.

في الفصل الأخير وتحت عنوان «أدلة عدم وجود عذاب القبر»، تطرقنا للحديث عن جل الأدلة التي تعارض عذاب القبر أو تختلف معه، سواءً كانت أدلة عقلية أو نقلية. ثم ركزنا على المصطلحات المرتبطة بقضية هذا الفصل وتعريفها.

ووضحنا بعدها بأن القرآن ينكر عذاب القبر، ثم تطرقنا لما يقع للإنسان بعد موته مستندين في ذلك للأدلة القرآنية والعقلية، لذلك اطلقنا على هذا الباب «القول الفصل».

أسامة فاخوري
10/01/2019

الفصل الأول

بدايات خرافة عذاب القبر

تمهيد

يستند المؤمن بعذاب القبر للأحاديث، فهنالك يجد ضالته وخرافاته، لذلك سأحاول أن اطلعك على بعض الأمور باختصار وجيز، ومن يريد التفصيل والزيادة فهناك العديد من الكتب الخاصة بهذا الشأن.

بما أن إنكار عذاب القبر أو الإيمان به يعتبر من مسائل العقيدة، والعقيدة أساس الدين، فلا بد من ضبط هذه الأمور بالأدلة القطعية، تماماً كالإيمان بالله عزوجل وملائكته ورسله واليوم الآخر ... ولا يجب أن نتلاعب بعقائد الناس بالاستناد للخرافات التي تعارض سنن الله عزوجل الكونية، وتخالف المعقول والمسموع.

للخرافات والأحاديث علاقة اتصال مباشر، فكل خرافة لصيقة بالدين تجد أصلها يستند للأحاديث الباطلة، متناً أوسنداً أو كلاهما.فهناك طائفة كبيرة من الكذابين كذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام ونسبوا إليه أحاديثاً لم يقلها البتة !.[1]

ولنلقي نظرة سريعة على عدد الأحاديث في القرنين 2 و 3 هجري :

في القرن الثاني وصلت عدد الأحاديث المنسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام إلى 100 ألف حديث، أكثر من 90% موضوعة ومشكوكة، أما 10% المتبقية ففيها القليل صحيح، أغلبها ضعيف ومرسل.

أما عند **أبي حنيفة**- يقول ابن خلدون - فلم يصح من الآثار عنده إلا 17 فقط !! فانظر لهذا الرقم الصغير وتفكر. ونُسبت له أقوال عديدة في بيان كيفية التعامل مع الأحاديث والروايات ... جعلت بعضهم يصفه

1- انظر كتب الجرح والتعديل.

بالفقيه الجريء، منها على سبيل المثال لا الحصر «كل ما خالف القرآن ليس عن رسول الله وإن جاءت به الرواية».

وعند **مالك بن أنس** فقد قال **أبو بكر الأبهري**.

موطأ مالك فيه من الآثار 1720 حديث، 600 فقط مسندة، 222 مرسلة، 613 موقوفة و 285 هي أقوال التابعين.

وفي القرن الثالث وصلت الأحاديث المنسوبة للنبي إلى مليون حديث (كما قال الصرصري في لاميته)، جلها موضوعة ومكذوبة.

قال **مسلم بن الحجاج** :

ما وضعت في المسند شيئاً إلا بحجة، ولا أسقطت شيئاً منه إلا بحجة.

وقال : صنفت مسندي من 300 ألف حديث مسموع !.

أخذ منها 3033 حديثاً فقط (تقريبا 1%)، وترك البقية (99%) في 15 سنة.

قال **البخاري** :

ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح.

وقال : أحفظ 100 ألف حديث صحيح و 200 ألف حديث غير صحيح.

وفي روايات أخرى يقال أنه خرج كتابه من 600 ألف حديث سمعه !.

أخذ منها حوالي 4000 حديثاً فقط (0.6%)، وترك البقية (99.4%) في 16 سنة.

قال **أحمد بن حنبل** :

صح من الحديث 700 ألف وكسر، وهذا الفتى - يعني أبا زرعة - يحفظ منها 700 ألف حديث، ويحفظ 140 ألف من التفسير.

بمعادلة حسابية، فإن النبي عليه الصلاة والسلام - حسب كلامهم - كان يقول 105 حديث في اليوم، أي 10 أحاديث في الساعة.

مع العلم أن النبي عليه الصلاة والسلام شهد لنفسه ولباقي الأنبياء بقلة الكلام، روى الأصمعي وابن الأعرابي عن رجالهما أن النبي قال : (إنا معشر الأنبياء بُكاء).

والعجيب في الأمر أنه ضمن كل هذه الأعداد المهولة، لم نجد خطب الجمعة !! ولا توجد أحاديث في العهد المكي إلا ما ندر، وهذا الزمن - المليء بالأكاذيب - كان يسمى «خير القرون» !!.[2]

إن أحد أسباب انشتار هذه البلاء هو انتهاك قواعد الجرح والتعديل وعدم إخضاع جمع من الناس للقواعد السابقة، على سبيل المثال الصحابة، فهم لا يخضعون لهذه القواعد عند أهل السنة والجماعة، ولا نعلم ما المانع سوى العناد -مخالفة للشيعة - والخوف من سقوط أسس منهجهم، وقد ذكر **تاج الدين السبكي** مثل هذا وقال : **(لو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وطعن فيه الطاعنون)**.[3]

ونحن نذهب لأبعد من هذا الذي ذكره السبكي، فيجب إخضاع الصحابة كذلك لهذه القواعد، لأن فيهم الصادق والكاذب، وفيهم المؤمن والمنافق بل والفاسق ... ووفق تعريف الجمهور للصحبة والصحابة فإن المنافقين كذلك صحابة، وهذا لا يقبله عقل ولا سمع ولا شرع، وهذا مخالف لصريح القرآن.

وإذا ما استندنا لهذه القواعد فلن تجد رواية واحدة صحيحة تنسب للنبي عليه الصلاة والسلام تشريعاًواحداً مستقلاً عن التنزيل الحكيم، وهذا يتوافق مع روح القرآن ونوره، ناهيك عن نسبة أمر عقائدي للنبي لا يوجد في القرآن، والعلم بهذا طريقه الاستدلال، ويتهيأ لكل عاقل أن يعرف ذلك.

2- انظر : تذكرة الحفاظ، تاريخ بغداد، المنتظم، تدريب الراوي، دراسات في الجرح والتعديل.

3 - قاعدة في الجرح والتعديل، ص: 13.

إن هذا التضخم الكبير في الروايات ليس محصوراً في نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لوحده، بل هو أشبه بسنة دنيوية دائمة متطورة، فقد حدث هذا مع موسى وعيسى وغيرهما عليهم الصلاة والسلام جميعاً. وقد حذر النبي أمته من هذه الأفعال لعلمه بما وقع لأتباع إخوته السابقين من الأنبياء، فنجد قولاً منسوباً إليه يقول «**إنكم تركبون سنن من قبلكم**» وقال «**إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر عنه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه**».

وقد نبه **علي بن أبي طالب** عليهم الصلاة والسلام على هذا الأمر في كثير من خطبه، ونهج البلاغة مليء بمثل هذا الكلام، ولبعض أئمة المحدثين كلام يوزن بالذهب، مثل قول **شعبة بن الحجاج أن تسعة أعشار الحديث كذب. وقول الدارقطني (ما الحديث الصحيح في الحديث إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)**، وانظر رحمك الله لهذا الكلام العظيم وافهمه، وقد علمنا صحة هذا الكلام بالنظر والاستدلال، ومن ترك هذا لم يعرف ولم يفهم.

نَشْأَةُ هذه الخرافة كانت بألسنة القُصاص في العصر الأموي، وازدهارها كان في العصر العباسي.إن روايات عذاب القبر مكذوبة على النبي، افتراها عليه مجموعة من الناس - باختلاف مشاربهم - على حين غفلة ألمت بالأمة عن وعيها ثم صححت أسانيدها بتطبيقات معيبة لقواعد التحقق على حين غفلة من علمائها.

لقد بدأت العقيدة المزعومة بحديثين فقط في **موطأ مالك**، أحدهما عن فتنة المحيا والممات والآخر عن الإستعاذة. ثم تكاثرت لتصبح 220 حديث عند **البيهقي** في كتابه «إثبات عذاب القبر»، ولهذه الزيادة الرهيبة معانٍ عدة، سنوضحها فيما هو قادم.

يجب عليّ القول أن جميع الأحاديث تُحترم، لكن أي حديث يخالف

كتاب الله عز وجل ويخالف قواعد قبول متن الحديث (علم الدراية) وقواعد قبول السند (علم الرواية) فهو حديث باطل ومردود، ويُضرب به عرض الحائط، ونذكر هنا الروايات الموجودة في التراث (لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابي بوال على عقبيه) وفي رواية اخرى (لا نصدق الأعراب على رسول الله)، (لا يقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله)، (ما أحسن قول القائل إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع)...وأحاديث عذاب القبر تخالف المعقول والمنقول والأصول.

رَدّ الحديث لمخالفته للقرآن تعتبر ضابطة منهجية منذ عصر النبوة وما بعده، ولنا في قصص أزواج النبي العبرة، لكننا أمة لا تعتبر، فعائشة زوج النبي كانت ترد كل حديث أو قول تسمعه للقرآن، وكذا كانت تفعل حفصة زوج النبي، لذلك صرّح ابن حجر العسقلاني بهذا في فتح الباري، وقال بجواز المناظرة ومقابلة الحديث بالقرآن بناء على فعل أزواج النبي عليه الصلاة والسلام.[4]

إنّ في زمن الجهل والبُعد عن كتب الله عزوجل انتشرت الخرافات بين المسلمين (مؤمنون، نصارى، يهود ...) وكلما تضاعف الجهل تضاعفت الخرافات، فهي علاقة تكاملية مرتبطة ببعضها البعض، على سبيل المثال «عذاب القبر» أصبح عذابه أشد من عذاب الآخرة عند هؤلاء، بل إنهم قالوا بأن الفرد سيحاسب في القبر،وسيوفى حسابه وجزاءه في حفرته الدنيوية !.

إن بداية كل هذه الخرافات كانت تحت سيطرة الدولة الأموية، لذلك سنسلط الضوء على سلطة الأمويين وعلاقتها بنشر الخرافات وأثر ذلك على المسلمين ليومنا هذا. وسنبحث كذلك عن بداية هذا المعتقد «عذاب القبر» وكيف انتقل للمسلمين وأصبح معتقد الغالبية منذ تلك العصور وإلى يومنا هذا.

4- انظر مقدمة فتح الباري.

بداية الخرافة :

{أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}

عذاب القبر يعتبر واحداً من أهم عقائد الفراعنة، وكل من زار مقابر وادي الملوك في مصر، وهو مكان لتشييد مقابر الفراعنة ونبلاء الدولة، سيرى رسومات ونقوش لحيوان مركب من 3 حيوانات يسمى «أمت» أو«عميمت» وبجانبه أشخاص تحاسب الميت، وخرافة «عذاب القبر» هي ترجمة حرفية لهذا المعتقد الفرعوني بالضبط، بل وبجميع تفاصيله كما سيتضح لاحقا.

وقد بحث د. **أحمد صبحي منصور** هذا في كتابه عن عذاب القبر وقال :

«الحضارة المصرية أقدم الحضارات وتأثيراتها على الشعوب المجاورة من الحقائق التاريخية المعروفة.

وحساب القبر ونعيمه وعذابه من أهم مقررات العقائد الدينية الفرعونية، ويؤكد الأستاذ سليم حسن فى بحثه عن الحياة الدينية المصرية القديمة أن كل شيء فى الشعائر الدينية كان يشير إلى الاهتمام بمصير جسد الإنسان عند الموت أكثر من نفسه أو روحه، وإن ذلك الاهتمام بمصير جسد الميت ازداد بعد طغيان عقيدة إيزيس وأوزوريس حيث كان أمل الميت أن يعود جسده للحياة السوية كما حدث فى أسطورة أوزوريس الذى عاد للحياة بعد الموت.

وفى العقائد الجنائزية لما بعد الموت هناك ثلاث روايات مختلفة عن مصير الميت بعد دفنه وحسابه أمام أوزوريس الذى كان إله الموت والموتى وكان

الإله العظيم لعالم الموتى وسيد القضاء للموتى فى قبورهم. ويقرر (إرمان) في كتابه ديانة مصر القديمة أن الميت يصحو فى القبر ليس على شبح خيالى وإنما في بعث متجسد، أي يصحو بجسده وهى نفس الفكرة التي لا يزال يكررها فقهاء الأرياف عند إلقاء الخطبة التقليدية عند الدفن.. ولا يزال المصريون يعتقدونها.. ونقرأ فى الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى مشهداً لمحاكمة الميت فى قبره حيث يجلس أوزوريس على عرشه وأمامه رمز أنوبيس وأبناء حورس وآكل الموتى وهو حيوان مرعب يتشكل من تمساح وأسد وفرس النهر، ويجلس قضاء أوزوريس، قضاة المحكمة وهم على أشكال مخيفة ولهم ألقاب مفزعة وعددهم اثنان وأربعون قاضياً بعدد مقاطعات مصر القديمة، ويتم حساب الميت بوزن قلبه فى الميزان ويسجل (تحوت) كاتب الآلهة النتيجة على لوحة ثم يخبرها أوزوريس.

ويتقدم الميت مخاطباً أوزوريس بالتمجيد ثم يبدأ بالدفاع عن نفسه وينفى وقوعه فيشيء من المعاصي.

والناجحون فى الامتحان يدخلون مملكة أوزوريس وجنته أما الراسبون العصاة فيظلون فى مقابرهم جوعى وعطشى بل أن القضاة يحملون معهم أدوات لتعذيب الموتى العصاة، والحيوان المخيف الواقف أمام أوزوريس يلتهم الميت ويمزق أعضاءه، واسم ذلك الحيوان آكل الموتى «باباي»

وفى رواية أخرى يكون الميت في قبره بين ثلاث فئات.. فئة تفوق سيئاتهم حسناتهم، ومصيره إلى الحيوان الوحشي الذى يأكله، وهنا يحدث تحوير صورة ذلك الحيوان، إذ يكون في تلك الرواية كلبة متوحشة وليس الحيوان الخرافيباباي ..وقد يكون الميت من فئة تفوق فضائله رزائله، وحينئذ ينضم إلى جنة الآلهة، وقد تتعادل حسناته وسيئاته وحينئذ توكل إليه مهمة خدمة الآلهة.

فى رواية ثالثة يتحول الحيوان الخرافي الذى يعاقب الميت العاصي إلى ثعبان أفعى ضخم رهيب المنظر، وإذا أفلح الميت فى حسابه أمام أوزوريس يقال لذلك الثعبان الهائل يا أفعون لا تأكله.

وانتقلت تلك الأسطورة الأخيرة إلينا فى شكل جديد بعد عدة تحويرات.. أصبح أوزوريس فيها يتسمى باسم عزرائيل.. وأصبح أفعون الضخم ثعباناً أقرع، وأصبح القائمون على محاسبة الميت فى قبره اثنين فقط من الملائكة أطلق عليهما لقب منكر ونكير.. ندخل بذلك إلى التفصيلات.. وجذورها التاريخية.

المؤثرات الفرعونية فى الشام في عذاب القبر ونعيمه :

أشار أدولف إرمان في كتابه «ديانة مصر القديمة» إلى انتقال عقيدة إيزيس وأوزوريس إلى أوروبا واستمرارها إلى العصور الوسطى، وكان تأثيرها شديداً فى الشام خصوصاً في اليهودية والنصرانية.. وأكد هذه المقولة باحثون أمثال «ويلز» في كتابه «موجز تاريخ العالم» و«شارل جينيير» فى كتابه عن تاريخ المسيحية..

وقبلهم جميعاً أشار القرآن إلى تأثر بنى إسرائيل بالعبادة الفرعونية برغم ما أنعم الله عليهم من آيات، حتى أنهم عندما عبروا البحر ورأوا معبداً فرعونياً فى سيناء أرادوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِيَ إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىَ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىَ أَصْنَامٍ لّهُمْ قَالُواْ يَمُوسَىَ اجْعَلْ لّنَآ إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف 138). وحين تركهم موسى عبدوا العجل الذهبي يضاهون به عبادة عجل أبيس الفرعوني ﴿وَاتّخَذَ قَوْمُ مُوسَىَ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنّهُ لاَ يُكَلّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف 148)، ﴿فَرَجَعَ مُوسَىَ إِلَىَ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتّمْ أَن يَحِلّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مّن رّبّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مّوْعِدِي. قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنّا حُمّلْنَآ أَوْزَاراً مّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السّامِرِيّ.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَذَآ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىَ فَنَسِيَ. أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً. وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنّ رَبّكُمُ الرّحْمَـَنُ فَاتّبِعُونِي وَأَطِيعُوَاْ أَمْرِي. قَالُواْ لَن نّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتّىَ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىَ. قَالَ يَهَرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلّوَاْ. أَلاّ تَتّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَابْنَأُمّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي .قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَامِرِيّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مّنْ أَثَرِ الرّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه 86: 96)

وفيما يخص موضوعنا عن القبر حسابه وعذابه فإن القرآن يشير إلى أن اليهود عبدوا (عزير) زاعمين أنه ابن الله وأنهم بذلك يسيرون على نهج الكافرين السابقين ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ﴾ (التوبة30) واليهود فى مصطلح القرآن الكريم ليسوا كل الذين هادوا وليسوا كل من يتمسك بالتوراة بل فقط الطائفة المتطرفة من قوم موسى ومن سار على نهجهم.

أوزوريس اسمه المصري وباللغة المصرية القديمة عزير.. حرف العين يوجد فى اللغة المصرية القديمة ولا يوجد فى اللغة اليونانية ولذلك فإن الأوروبيين حين نطقوا (عزير) باللغة اليونانية القديمة قالوا (أوزوريس) أي (أوزير)تضاف إليه..(S)

وأضافت اليهود إلى (عزير) تحريفاً آخر تحول به من إله الموتى عند قدماء المصريين إلى ملك الموت، وأصبح اسمه (عزرائيل).. وتوارثنا منهم الاعتقاد بأن «عزرائيل» هو ملك الموت ولقد ذكر القرآن أسماء بعض الملائكة مثل جبريل وميكال، ومالك وتحدث عن الروح وملك الموت ولكن لم يذكر إسماً لملك الموت ..ولأن القرآن هو وحده المصدر الذى نستقى منه الغيبيات فإن «عزرائيل» المشار إليه على أنه ملك الموت لا أصل له فى الإسلام.

وقد عرفنا أصله الإسرائيلي المأخوذ من أوزير أو عزير أو أوزوريس.

وهذا يدلنا على أن المؤثرات الفرعونية ظلت حية فى مصر والشام والعراق بعد ظهور الأنبياء من بنى إسرائيل وإلى ما بعد ظهور خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام.

والعقائد المرتبطة بالموت وعذاب القبر وحسابه مأخوذة من أصول فرعونية ولكن تحولت لبعض التحوير الذى أشرنا إليه..».[5]

ولا مناص لأحدمن هذه الحقائق التي ذكرها **أحمد صبحي منصور**، فثقافات الحضارات القديمة قد أثرت وتوغلت في جميع الحضارات التي جاءت بعدها، بالخصوص تأثير الثقافة المصرية القديمة في الثقافة الإسلامية، لعدة أسباب أهمها القرب الجغرافي والتواصل المباشر الدائم بين المنطقتين. وهذا ما جعل خرافات «عذاب القبر» «المسيح الدجال» «عودة عيسى» ... تنتقل للثقافة الإسلامية.

وقد تم تحويل الأشخاص الذين يزنون القلوب إلى «منكرونكير» وأصبح «أمت» ذاك الحيوان الغريب يعتبر عند المسلمين هو «الثعبان الأقرع»، ويظهر التقارب الكبير بين جعل هذا الحيوان خرافيا بدرجة كبيرة. فالاسم لوحده يدل على ذلك «الثعبان الأقرع» أو «الشجاع الأقرع».

وقد ذكر لنا القرآن الكريم اتّباع اليهود لجماعة من الكفار قبلهم في بعض الأقوال، قال عز وجل **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ}** وما يرجح أن هؤلاء الكفار هم المصريين القدامى، هو تعايشهم مع بعضهم البعض لعدة قرون من عصر الهكسوس إلى عصر الرعامسة.

وقد كشف علم المصريات في العصر الحديث كل هذه الحقائق عن المعتقدات الفرعونية حين فك الرموز الهيروغليفية، ونزعم أن هذه المعتقدات قد توغلت في الآثار الإسرائيلية والمسيحية، ثم تسللت بعدها للإسلام في عصر ما بعد الخلفاء.

5 - أكذوبة عذاب القبر والثعبان الأقرع، الفصل الرابع.

فلم تكن هذه الخرافات منتشرة في عصر النبوة، ولا في عصر الخلفاء الأربعة، إنما صنعت وتم تغليفها دينياً في العصر الأموي بزعامة معاوية بن أبي سفيان، لهذا سنلقي نظرة مختصرة على علاقة معاوية بهذه الخرافة.

لذلك يتضح أننا أخذنا عن المصريين جل ما يتعلق بالموت وما يحيط به من مسائل، كمراسم الدفن وأمور القبروالقراءة على الميت والاحتفال بالأربعين ...

معاوية والخرافات :

بعد أن اغتصب معاوية الخلافة، حاول أن يجعل الدين مطاوعاً لحكمه البعيد عن روح الدين، فاستخدم الحيل والتدليس والتزوير ...كي يعطي حكمه صبغة شرعية. لذلك كان همه الأول والأخيرهو أن يبدلالدين الذي يخالف منهج حياته وحكمه ...إلى دين شيطاني يحلل أفعاله الشنيعة، ويضمن له أتباع كالقطيع يرعاهم حيث شاء، فجعلوا - القطيع - منه - معاوية - أسطورة الأساطير، وما هو إلا منافق طليق.

يقول **المقريزي**عن ظاهرة وصول الأمويين إلى الحكم: «فإني كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بني أمية إلى الخلافة .. وأقول كيف حدثتهم أنفسهم بذلك ؟ وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله ولعينه من هذا الحديث، مع تحكم العداوة بين بني أمية وبني هاشم في أيام جاهليتها، ثم شدة عداوة بني أمية لرسول الله ومبالغتهم في أذاه وتماديهم في تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله تعالىبالهدى ودين الحق .. فلعمري لا بعد أبعد مما كان بين بني أمية وبين هذا الأمر، إذ ليس لبني أمية سبب إلى الخلافة ...».[6]

ولا نسعى في هذا الكتاب أننذكر فضائل **علي** عليه السلام، فهي كثيرة جداً وتحتاج لمجلدات، هذا إن أحصيناها أصلاً.

6 - مقدمة كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي.

وقد اختلطت السياسة بالدين في القرون الإسلامية الأولى، بحيث يجد الباحث صعوبة في التفريق بينهما، فقرب العهد بالدين جعل تأثير الإسلام واضحا في كل مجالات النشاط السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن هنا لا يمكن تمييز سياسة الدولة الدينية عن سياستها في المجالات الأخرى. وحاولت السياسة الأموية إسباغ دولتها بعداً دينيا على مواقفها ونشاطاتها السياسة والاجتماعية والاقتصادية.[7]

وقد سادت في ذلك العصر بعض الألقابالجديدة مثل «خليفة الله» و«خليفة أهل الأرض» و «المهدي» ... ولم تكن هذه الألقاب الفخمة سوى لتعظيم الحاكم المستبد وإعطاءه شرعية وصبغة دينية، وهو في الأصل بعيد كل البعد عن الدين وروحه.وساد اعتقاد الجبر في العصر الأموي، وساعد معاوية هذا الاعتقاد بشدة وكان يقول به، إن لم يكن هو مبتدعه، حيث قال لأهل الكوفة بأن الله عز وجل أسبغ عليه الخلافة «قاتلتكم لأتأمر عليكم فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون». [8]

بل كان يزعم أن الله عزوجل أعطى له الخلافة والملك «إنه لملك آتانا الله إياه[9]

وقد كان لمعاوية دور كبير في نشر الخرافات والاعتقادات الباطلة، فأحدث في المساجد قصاص الترغيب والترهيب، اخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا: لم يقص في زمن النبي ولا في زمن أبي بكر وعمر، وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة. وأصبحت المصيبة أعظم وأكبر حين اغتصب معاوية الحكم ظلماً، واستند على الأحاديث المصنوعة لتشيد به وتجعل له فضائل مكذوبة، في حين أن النصوص الصحيحة تذمه. وقد حاول بعض المحدثين تبديل اسم معاوية وقول «فلان» في الأحاديث التي تذمه، لكن هذا لم يمر مرور

7 - الخلافة الأموية لفاروق فوزي، ص: 336.

8 - البداية والنهاية 8/131.

9 - تاريخ الرسل والملوك 5/334.

الكرام على أصحاب العقل السليم، فقال إسحق بن راهويه وهو من شيوخ البخاري : إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء. وقال ابن قيم الجوزية : ومن ذلك ما وضعه بعض جهلة أهل السنة في فضائل معاوية بن أبي سفيان.[10]

لقد اعتمد معاوية على وضاع الأحاديث، أبرزهم كعب الأحبار حيث اتخذه - معاوية - خليلا ومستشاراً له، وقد غمر معاوية كعب الأحبار بأفضاله في عهد عثمان بن عفان، وهذا ما دفع كعب للسفر للشام كي يعيش تحت كنف معاوية.

رد كعب الأحبار هذا الجميل لمعاوية بأضعاف مضاعفةوبأحاديث مصنوعة وموضوعة، وقد كان كعب الأحبار رائداً في القص وعلم الناس هذه الثقافة، بأمر من معاوية كما ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني.[11]

ومن عجيب أقواله، روى وكيع بن الأعمش عن أبي صالح أن الحادي كان يحدو بعثمان يقول :

إن الأمير بعده علي وفي الزبير خلق رضي

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشهباء (يقصد معاوية).

فانظر رحمك الله لهذا الفجور البغيض، وانظر لرد الفضل من كعب لمعاوية كيف كان.وقد عارض بعض الناس ثقافة القص في المساجد، فعن ابن عمر أنه كان يخرج من المسجد ويقول ما أخرجني إلا القصاص ولولاهم ما خرجت. وعن شعبة بن الحجاج أنه دنا منه شاب فسأل عن حديث فقال له شعبة، أقاص أنت ؟ فقال نعم، قال شعبة اذهب فإننا لا نحدث القصاص، فقال له الشاب لم ؟ قال شعبة يأخذون الحديث منا شبراً فيجعلونه ذراعاً !!.[12]

10 - المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص: 166.

11 - الإصابة للعسقلاني 5/323.

12 - الآداب الشرعية للمقدسي 82-2/89.

وقد عادوا بني أمية، معاوية تحديداً،أهل بيت النبي، وسبّ معاوية عليّ عليه السلام وأمر بسبه(**أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ فَقَالَ أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنْ أَسُبَّهُ**)[13]،قال الشيخ الكبير **قاضي القضاة عبد الجبار**»أن معاوية وأشباهه من بني أمية قد عادوا أمير المؤمنين وبني هاشم، وغلبوهم، واستولوا على ملك الدنيا، **وعظموا نفوسهم بكل ما قدروا عليه**، فما أمكنهم أن يجعلوا لمعاوية منزلة لم تكن له وهو سيدهم، ولا أن يجعلوه من البدريين السابقين، ولا من أهل الشجرة، ولا من أهل الشورى، ولا من المهاجرين ولا من الأنصار، وقد ودوا أن يكون له شيء من ذلك أو من هذه المنازل. ولا أمكنهم أن يخرجوه من جملة الطلقاء وأبناء الطلقاء، ولا أمكنهم أن يخرجوا أمير المؤمنين عن منازله من كونه من السابقين والبدريين والفقهاء والعلماء والزهاد ...

وتأمل ما كان لمعاوية من احتيالاته في التوصل إلى الملك، في إطعام عمرو بن العاص مصر، وبادعائه زياداً، **وبمن استماله ببذل الدنيا له**، كذي الكلاع، وخالد بن المعمر، ومصقلة بن هبيرة، وأشباه ذلك، وما كان لملك ملك مما هذه سبيله». [14]

لقد تم الترويج لخرافة «**عذاب القبر**» ونسبتها للنبي عليه الصلاة والسلام في العهد الأموي، من أجل أن يشغلوا الناس بهذه الخرافات كي لا يلتفتوا لاغتصاباتهم وفسادهم السياسي، فأصبحت المساجد أماكن لتخويف الناس، دس ثقافة الرضا بالفقر وعدم محاسبة الحكام على الثروات الكبيرة، وهنالك انتشرت عقيدة الجبر.

وقد كان اختيارهم مصيباً بشدة، فلا شيء يرعب الناس مثل الخرافات المظلمة، وهذا ما جعل الناس عبيداً للقصاص والملوك. وهنالك تم جعل الموت والقبور مؤسسة لها قدسية وهمية، وكل هذا مصيره السقوط مع

13 - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

14 - تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار 374-2/375.

الوقت. ومن أراد الاطلاع على هذه الخرافات فليقرأ كتب **ابن أبي الدنيا**، خصوصاً كتابه «**من عاش بعد الموت**» وهو كتاب مليء بالخرافات، ولا غرابة في ذلك خصوصاً إذا علمنا أن مؤلفه حشوي بامتياز، بل من رؤوس الحشوية.

منذ تلك العصور وإلى يومنا هذا، ما زال القصاص يسخرون من الناس بالاعتماد على خرافات تحت مظلة «غيبيات»، وما هي بغيبيات أصلاً، وهذا مشابه لما ذكره **ابن خلدون** «الفتن التي تختفي وراء قناع الدين تجارة رائجة في عصور التراجع الفكري للمجتمعات» وما زال حالنا اليوم يشبه ما ذكره ابن خلدون منذ عصور.

إن الفقه القديم المتوارث، قائم على صورة تاريخية مزورة مفادها الخضوع لحكم الدولة الغاصبة المغتصبة، وقد تم هذا بمساعدة من شريحة تدعي الكهنوت في الإسلام وبأنهم رجال دين ! والدين يعارض هذا التوجه، ويسميهم بعض الفقهاء ب «علماء السلطان» وما أكثرهم، وكان الشيخ **عبد السلام ياسين** يطلق عليهم لقب «فقهاء العض والجبر» وهم فعلاً كذلك.

لقد رسخ «علماء السلطان» لسلطة الحاكم المستبد، ونشروا الخرافات وفقه الموت لامتلاك عقول الناس وتمويت قلوبهم رعباً وفزعاً، لقد شوهوا روح الدينومعالمه عند الناس التي استخفوها سابقا، بإلغاء عقولهم وتسفيههم وإقناعهم بأنهم مجرد قطيع تابع لرجل الدين وللحاكم الظالم.

إن تجارة القبور التي اعتمد عليها جل الشيوخ تجارة فاسدة وباطلة، رغم أنها مدرة للمال، لكن عواقب هذه التجارة وخيمة، حيث ترسخت سياسة القطيع لدى شريحة كبيرة من المجتمع، فأصبحنا نرى الناس تحاول وبشتى الطرق إرضاء رجل الدين، رغم أن رسالة الإسلام الحقيقي هي إلغاء مهنة رجل الدين، فتحول الدين من كونه رسالة رحمة للناس، إلى صنم يحتاج لخدمة أبدية من البشر.

خلاصة:

لم تك الغاية من هذا الفصل مناقشة ما داربين علي - الحق - ومعاوية - الباطل- من خصومة وقتال، فذاك أمر يحتاج لكتاب خاص به من أجل التفصيل، وإنما كانت غايتنا بيان الانحراف الذي وقع بعد تسلط معاوية - ومعه شرذمة - على السلطة. ذلك الانحراف العقدي والفكري الذي نشرته المؤسسات التابعة للدولة الأموية، فأصبح القصّ في المساجد وبث العقائد الخرافية التي لا علاقة لها بالدين، كعقيدة الجبر ومعاوية شخصياً هو صاحبها وأول من نطق بها كما وضحنا، وعدة عقائد أخرى كعذاب القبر، وكلها خرافات وأساطير ما أنزل الله بها من سلطان.

وكذلك لم تك الغاية تتبع جذوروأصول الخرافة ومنشأها، بقدر ما حاولنا تتبع الأمم والحضارات التي آمنت بهذه الفكرة أو ما يشابهها، دون الترجيح وتبيين من صاحبها أولاً، فهذا أمر يحتاج لبحث خاص به.

لقد تعرضنا لهذه الأمور من أجل توضيح اختلاط الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات، إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كالثقافة اليهودية والمسيحية والمجوسية وغيرهم. وبيّنا متى تمّ ذلك بالتحديد وفي أي العصور، وكيف انتقلت بعض المعتقدات الأسطورية للاعتقادات الإسلامية واكتساب القدسية، منها على سبيل المثال «عذاب القبر».

وبعد فترة زمنية انتقل هذا الأمر لمواضيع لها بالغ الأهمية عند المسلمين، كعلوم التفسيروالفقه والحديث ... فكلها تأثرت بما هو دخيل على الإسلام، خصوصاً ما كان له علاقة بالقصص القرآني، فلم يكتفِ الناس بما ورد في القرآن من قصص بل اعتمدوا على قصص أهل الكتاب الصحيح منها والخاطئ، وإن كان الكثير منها هو الطاغي كالإسرائيليات.

فأصبح القاصّ والمفسر يعتمد على الإسرائيليات في كلامه وتفسيره بشدة، وكل من راجع كتب التفسير والحديث يعلم ذلك.

ومما يثير الريبة بشدة هو عدم انتقاد الفقهاء لهذا الأمر، خصوصاً في التفسير، أما الحديث فقد حاولوا الغربلة لكن ما زال هنالك الكثير والكثير. ومن القلائل الذين انتقدوا هذا الأمر فيلسوف المعتزلة إبراهيم النظام الذي قال «لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين، وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة، فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم». والعجيب في الأمر أن ما ذكره النظام ما زال موجوداً ليومنا هذا !.

الفصل الثاني

أدلة أصحاب عذاب القبر والرد عليها

تمهيد:

إن المنهج الذي يعتمد عليه المؤمن بعذاب القبروالخرافات، منهج باطل من عدة أوجه، منها أنه يعتمد على الرواية في المقام الأول، وإن كانت الرواياتتتخالف القرآن الكريم، تخالف السنن الإلهية، أوقد تكون مكذوبة على خاتم المرسلين.

هذا المنهج ليس بجديد، بل له جذور في جل كتبنا الفقهية التراثية، فأبو الحسن الكرخي الحنفي يقول كلماته المشهورة «كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ».[15]

فانظر رحمك الله لهذا الفكر العقيم، واعلم أن أغلبهم يسيرون وفق هذا المنهج الباطل، فشيخ الإسلام - إسلامهم - ابن تيمية يزعم أن العذاب واقع على الروح والجسد باتفاق أهل السنة والجماعة، ولا خلاف بينهم في ذلك.[16] وهذا عين التدليس والكذب، فأهل السنة والجماعة اختلفوا إلى 3 فرق، فرقة تؤمن بعذاب القبر، وفرقة أنكرت عذاب القبر، وفرقة اعتزلت البحث وطالبت بعدم الخوض في هذه الأمور، أي توقفوا في المسألة،أبرزهم أبي حنيفة.[17]

وقد ذكر **محمد الرضواني**هذا فقال «وهناك من مسائل الاعتقاد ما اختلف فيه السلف ولم يورث اختلافهم تضليلاً ولا تبديعاً ولا تفسيقاً

15 - أصول الكرخي 730-732.

16 - مجموع الفتاوى 4/282.

17 - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص: 154.

كمسألة هل رأى محمد ربه ليلة الإسراء؟ والعذاب في القبرعلى الروح أم على الروح والبدن».[18]

فمن المعلوم أن مسألة «**عذاب القبر**» مسألة خلافية بين الفقهاء، وقد اشتد الخلاف في التفاصيل كثيراً لعدم وجود نصوص ضابطة لهذه العقيدة، حسب وصف المؤمن بها، فبعضهم قال أن العذاب واقع على الجسد، وقال آخربل هوواقع على جزء من الجسد فقط، وقال آخربل ترجع الروح للجسد كي يحيافي القبرويعذب، وقال آخربل هوعلى الروح فقط.

لكن ما نود أن نشيرإليه هو : لوكانت هذه عقيدة إيمانية، هل سنجد فيها هذا الاختلاف والتخبط بين فقهاء الإسلام ؟!! فهل إنكارعقيدة ما أمر هين ؟!! وهل يكفرمن أنكرهذه العقيدة أم لا ؟؟.

فإن قالوا أن المسألة خلافية، وهي كذلك، نقول لهم هذا دليل على أنها ليست عقيدة. فالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه ... عقيدة لا اختلاف فيها، ومن اختلف فيها أو أنكرهافإنه يخرج من دائرة الإيمان.

ورغم محاولة هذه الفرقة - المؤمنة بعذاب القبر - أن توهم الناس بعقيدة خرافية مهمة كما يقولون، إلا أننا لا نجد لها ذكراً في القرآن الكريم البتة، بل أدلتهم مستسقاة من أخبارآحاد ظنية، ومن المسلمات عندهم أن الظني لا تثبت به عقيدة أصلاً.

بل إنهم يعتمدون على أخبار لا نستطيع الجزم القاطع بصحتها، فالخبرأصلاً بمفهومه العام يعني ما صح أن يدخله الصدق أو الكذب.[19] ذلك أن «الأخبارعلى ضربين : أحدهما يوجب العلم وسكون النفس، كالخبرعن البلد وغيرها. والآخريعلم صحته بالاستدلال كخبرالله وخبر رسوله وخبرالأمة وخبرالعدد الذي لا يتفق الكذب منهم في الأمرالظاهر. فعلى هذين نقول في الديانات. فأما أخبارالآحاد وما لا يعلم صحته،

18 - كتاب منة الرحمن لمحمود الرضواني، ص: 835.

19 - التمهيد للباقلاني، ص: 160.

فإنا لا نعول عليه في هذه الأبواب، ونقبله في فروع الفقه على ما يجيء ذكره». [20]

وقد استدلوا **بتأويل** ثلاث آيات ظنية الدلالة، وأركز على كلمة **تأويل** حيث لا يوجد نص صريح يتحدث عن عذاب القبر لا من قريب ولا بعيد، كي يشدوا من أمر معتقدهم، لكن سأحاول ذكر جميع الآيات التي استدلوا بها كثيراً في مختلف الكتب التي تحدثت عن هذه المسألة، وأذكر 9 آيات ينسبونها لعقيدة عذاب القبر، وسأجيب عنها آية تلو آية حتى يتبين الحق من الباطل.

وقد انتقوا هذه الآيات رغم وجودما يزيد عن 1900 آية لا تتفق مع هذا المعتقد الخرافي «عذاب القبر»، بعضها تناقضه، وبعضها تختلف معه، والبعض الآخر ينفيه تماماً. وفي الأحاديث ما يثبته وما ينفيه كذلك !، وهذه طبيعة الأحاديث ومن استند عليها دون مرجعية وقواعد مضبوطة كي يتبين له الغث من السمين، حتماً سيتوه ويضل، فأغلب الأحاديث تناقض بعضها البعض، لوجود الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ... ولسنا هنا لتفصيل علوم الحديث وشرحها، فمن المستحيل أن نترك القطعي ونتهافت وراء الظني، فهذا يخالف المنطق والعقل والنقل.

واستناداً لأدلتهم فإن **«عذاب القبر»** لم يكن له ذكر في مكة المكرمة، ولم يعلمه أحد من الصحابة، ولا من مشركي وكفار مكة. بل تمت معرفته في المدينة حسب أقوى أدلتهم، لكن رغم هذا يستدلون على هذه الخرافة بآيات مكية !! فانظر لهذا التخبط والعبث رحمك الله، وسنفصل الكلام حول هذا في الفصل الحالي والقادم.

من هم ؟

قبل سرد أدلة المؤمن بعذاب القبر، لا بد لنا أن نوضح من هم **(منكر**

20 - رسائل العدل والتوحيد 1/240.

ونكير، الشجاع الأقرع) حسب الفكر الإسلامي المتوارث، فقد أبدع كل من تحدث عن هذه الخرافة وصورها كأنها مسرحية خيالية، فيها ملكين وثعبان عظيم، وفيها مطارق وعصي من حديد، وفيها ضمة للقبر تجعل الأضلاع تختلف ... !.

منكر ونكير:

حسب الميثولوجيا الإسلامية، فإنهما ملكان أزرقان أسودان ! أعينهما مثل قدور النحاس فيها لمعان البرق الخاطف، أنيابهما مثل صياصي البقر، أصواتهما مخيفة كالرعد، يكسحان الأرض بأشعارهما !! قادران على حفر الأرض بأظافرهما ! يحمل كل واحد منهما عصى من حديد، يعجز أي مخلوق عن تحريكهما، ينزلان إلى قبر الميت فيدخلان في روحه ويستقران في قبره وينهرانه بصيحة تخر منها عظامه فيرى أعضاءه انفصلت وعروقه تقطعت من شدة خوفه منهما !!.

وقد سميا بهذا الاسم - منكر ونكير - لأن العبد ينكرهما ولم يرهما أو يعرف شكلهما سابقا. منكر ونكير يسألان الشخص عن ربه ونبيه ودينه، ويسألانه عن محمد عليه الصلاة والسلام، وماذا كان يقول فيه.هذان الملكان يأتيان على نفس الشكل والهيئة للمسلم والمجرم، المؤمن والكافر، وبعضهم وجد أن هناك تناقضاً واضحاً، فكيف تكون ملائكة العذاب وملائكة الرحمة واحد ؟ ولمعالجة هذا التناقض قالوا بوجود أنواع في الملائكة، ولا دليل لديهم البتة على هذا الكلام.

وإذا ما ربطنا هذه الميثولوجيا الإسلامية بالميثولوجيا الفرعونية المصرية، فيمكن اعتبار «منكر ونكير» هما «أنوبيس» صاحب رأس ابن آوى إله الموتى، و «تحوت» إله الحكمة.فالإله «أنوبيس» يضع ريشة «ماعت» ليزن القلب، و «تحوت» يقوم بتسجيل النتيجة. [21(*)]

21 (*)- (انظر بردية حونفر).

ويزعم البعض أن منكر ونكير من الأمور المتواترة، لكن عند التحقيق فالحقيقة خلاف ذلك، فلم ترد هذه الأسماء إلا في رواية واحدة عند الترمذي ضعيفة مُختلف في سندها، ويوجد فيها راوٍ ضعيف، وإن صححها الألباني المتساهل في التصحيح. والترمذي نفسه ذكر بأنها رواية حسنة غريبة، فكيف يعتقد الناس برواية حسنة غريبة - أقرب للضعف - في باب الغيب والعقيدة ؟! بل كيف يدعي هؤلاء التواتر والرواية لا ترقى لمستوى الصحيح أصلاً ؟!!.

الشجاع الأقرع :

هو ثعبان أقرع ليس عليه شعر في رأسه ! له زبيبتان، وهو الذكر الأعظم من الحيات، وسمي الأقرع من كثرة السم، والزبيبتان هما غدتان في رأسه مملوءتان بالسم، عيناه من نار، وله أظافر يبلغ طولها مسيرة يوم كامل ! ويعذب عذاباً بدنياً وقلبياً !!.

حسب الميثولوجيا الإسلامية والمصرية القديمة، فإن «الشجاع الأقرع» هو الحيوان المركب «أمت» أو «عميمت» آكلة الموتى، هذا الحيوان المركب عبارة عن مزيج بين رأس تمساح وجسد أسد وفرس النهر.

هذا الكائن الأسطوري يأكل قلوب الموتى المذنبين، فيمحى صاحب القلب تماماً من العالم ويختفي من الوجود، عكس صاحب القلب النقي، الذي يمر صاحبه بسلام ولا يلتهمه «أمت» ويأخذ ثوبا أبيضاً جميلاً وحديقة يعيش فيها هو وزوجته يأكلون من ثمارها.

هذا يتطابق تماما مع دور «الشجاع الأقرع» الذي يعذب ويضرب مضيع الصلوات، والممتنع عن الزكاة. والملاحظ أن هذه قصص للتخويف والترهيب، ولا صحة لها أساساً.

والعجيب في الأمر أن جل أحاديث الشجاع الأقرع، والخرافات عموماً، هي من لسان أبي هريرة صديق كعب الأحبار أكبر قصاصو مستشار معاوية

بن أبي سفيان كما أشرنا سابقاً، وما يزيد الطين بلة هو التناقض بين الروايات التي تتحدث عن نفس الموضوع، فمرة هناك شجاع أقرع، ومرة يوجد 99 تنين ! والتنين الواحد-حسب روايةأبي هريرة -هو 99 حية !! ولكل حية 7 رؤوس !!!.

أقول : بالغ القصاص والحشوية في ذكرهذه الخرافات، فنجد كتاباً لابن أبي الدنيا اسمه «من عاش بعد الموت» وهوكتاب مليء بالخرافات، وكذلك كتابه «القبور» حيث يجد القارئ لهذه الكتب خرافات لا يقبلها عقل ولا سمع.

ومن القصص العجيبة والغريبة، أنه روي بعد وفاة الملا رضا النجفي أن ولده رأى في عالم الرؤيا أباه وسأله عن حاله فأجابه أنه كان خائفاً من منكر ونكير أول الأمر، وطلب منهم أن لا يؤذوه فقالوا له حسناً اقرأ لنا قصيدة «**الله شمصيبة زينب يا غريبة**»وقال - لابنه-قرأتها لهم فتركوني !!.

إن هذه القصص قد تنطلي على صغار العقول لتخويفهم والضحك عليهم، على سبيل المثال وصف هؤلاء الملائكة، من المستحيل أن نجد هكذا وصف لهمبهذه الطريقة، بل وينسب هذا الهراء للنبي محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال عن الملائكة بأنها مخلوقة من نور (ينسب له هذا في الأحاديث)، هذا التناقض بين الأحاديث لا يقبله عقل ولا سمع، فحديث يقول بأنهم نور وحديث يقول بأنهما أزرقان أسودان فظان، في حين أن القرآن يقول عن ملائكة النار بأنهم غلاظ شداد **{عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ}**.

أما بخصوص الثعبان الأقرع، فالأمر من كثرة سخافته وتفاهته لا يحتاج لتعليق.

ووصل بهم الأمر لأبعد حد وقالوا أن للقبر ضمة وضغطة تختلف على إثرها أضلاع الميت، فتصبح اليمنى مكان اليسرى والعكس صحيح»عن عائشة أن النبي قال : إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ». فالعذاب هنا حسي للجسد الميت، وقد حاول البعض

أن يحرف معنى هذه الأحاديث كي يظهر أن العذاب ليس بحسي، لكنهم لم يوفقوا في ذلك.

الأحاديث :

يستدل المؤمن بعذاب القبر بالأحاديث التالية :

«عن عَائِشَةَ أَنَّ يَهُودِيَّةً كانت تَخْدُمُهَا فَلاَ تَصْنَعُ عَائِشَةُ إِلَيْهَا شَيْئاً مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلاَّ قالت لها الْيَهُودِيَّةُ وَقَاكِ الله عَذَابَ الْقَبْرِ. قالت فَدَخَلَ رسول اللَّهِ عليَّ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ هل لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قبل يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قال: لاَ، وَعَمَّ ذَاكَ؟ قالت: هذه الْيَهُودِيَّةُ لاَ نَصْنَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً إِلاَّ قالت: وَقَاكِ الله عَذَابَ الْقَبْرِ. قال كَذَبَتْ يَهُودُ، لاَ عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قالت: ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ ما شَاءَ الله أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلاً بِثَوْبِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ وهو يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَيُّهَا الناس، لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً أَيُّهَا الناس اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ من عَذَابِ الْقَبْرِ فإن عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ».[22]

هذا هو الحديث الأم أو العمدة الذي تبنى حوله الأحاديث الأخرى، فهذا الحديث يصف لنا كيف علمت عائشة أولا بهذه العقيدة، ثم سألت النبي عليه الصلاة والسلام فأنكر !! أما بقية الأحاديث فتعتبر فرعية لهذا الأصل.

مما يعجب له أي عاقل، هو عدم وجود أي أثر لعذاب القبر في كتب اليهود !!.

«إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم. فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما

22 - مسند أحمد بن حنبل 6/81. فتح الباري 3/236. عمدة القاري 8/203.

جميعا. قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح في قبره. ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين».[23]

«إن الكافر تعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: مَنْ رَبُّك؟ فيقول: هاه هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب ... ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ... ثم يقيَّض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا. قال فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب ... فيصير ترابا». [24]

عن عائشة أن النبي قال : «إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ». [25]

عن أبي أيوب «أن صبيا دفن، فقال النبي : لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي».[26]

لقد أشكل هذين الحديثين على ثلة من المحدثين، فهذا الحديث يؤكد ضمة القبر حتى على المسلم الذي يفترض أن يكون منعماً في قبره، والضمة لا تكون إلا للمعذب كما في الأحاديث الأخرى، وهذا ما جعل بعضهم يأتي بأجوبة متعسفة وفيها تكلف كثير، لكن البعض الآخر أقرّ بالضمة على المنعم والمعذب، قال أبو القاسم السعدي «لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح ...»، ويقول الترمذي «سبب هذا الضغط أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب ما فتدركه هذه الضغطة ...».

---

23 - صحيح البخاري (1374). صحيح مسلم (7395).

24 - فتح الباري 1/850.

25 - مسند أحمد 6/98،55.

26 - معجم الطبراني 4/121.

وقال البعض أن تلك الضمة إنما هي ضمة رحمة ! مثل ضم الأم لابنها !! وهذا جواب متكلف وباطل. حيث يلزم من هذا أن ضمة القبر على الطالح كذلك ضمة رحمة، وهذا محال طبعاً. فلا توجد قرينة تؤكد التغاير بين الضمتين، والكلام في جل الأحاديث عن نفس الضمة، لا عن ضمتين كما يزعم هؤلاء.

« عن أبي هريرة عن رسول الله قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا. أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة». [27]

أي أن في القبر مع الميت 9801 حية ! لها 68607 رأس !! هذا الكلام- إن صح الحديث من الأساس- ينسبه أباهر للنبي عليه الصلاة والسلام، والنبي منزه عن هذا الخبل الفكري.

ومن عجيب قولهم حول هذه المسألة أن التنين هو أكبر الثعابين ! وأن الحكمة من هذا العدد هو بسبب كفر هذا التنين بأسماء الله عز وجل وهي تسعة وتسعون !!. ولا يستحق هذا الخبل الفكري أن نناقشه أو نرد عليه، لكننا نشير لمسألة مهمة وهي أن عدد أسماء الله أصلاً فيه اختلاف، فالبعض يقول أنها تسعة وتسعون والبعض يعتقد أنها أكثر من مئة ... ونسأل هنا سؤالاً استنكارياً استهزائياً : ما الحكمة من ذلك الرقم إن كانت أسماء الله أكثر من مئة ؟!.

وكما ذكرنا سابقاً، فإن خرافة الثعبان الأقرع- وكأنه يوجد ثعبان بشعر كثيف - ما هي إلا نقل حرفي للخرافة المصرية القديمة، وهذا التخبط في عدد الثعابين ودورها، ما هو إلا دليل على صناعة هذه الخرافة بواسطة جمع كبير من الناس.

«... يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ... فكلما ضربه ضربة يغوص

27 - تفسير الطبري 16/228. ورواه أبو يعلى وابن حبان والبيهقي.

في الأرض سبعين ذراعا فلا يزال في الأرض معذبا إلى يوم القيامة».[28]

«إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما «المنكر» وللآخر «النكير» فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال نم. فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله، لا أدري. فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك». [29]

«عن عائشة قالت : جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت أطعمونيأعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر. قالت فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية، قال وما تقول، قلت تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة فقام النبي فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبرثم قال أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته، وسأحذركموهتحذيرا لم يحذره نبي أمته إنه أعور والله عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤهكل مؤمن، فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجل الصالحأجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت، فيقول في الإسلام، فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم، فيقول محمد رسول الله ...». [30]

28 - الكبائر للذهبي 23-1/24.

29 - سنن الترمذي (1071).

30 - مسند أحمد (24542).

وهذا الحديث عجيب جداً، فهو يتناقض مع الحديث الأول في عدة أمور، وما يثير العجب أكثر هو أن الحديثين في نفس الكتاب «مسند أحمد». وهذا الحديث فيه كم رهيب من الأخطاء، ولا يمكن أن يصدر عن النبي عليه الصلاة والسلام، ففيه من التجسيم ما لا يقبله مسلم، إلا المجسمةالحشوية فهم يعكفون على هذه الروايات.

وكما ذكرنا سابقاً، فلا ذكرلعذاب القبرفي كتب اليهود أصلاً، وأسفارهم لا تتحدث عن ما بعد الموت أساساً. فلا ندري من أين علمت هذه اليهودية هذه العقيدة، ثم كان لها الفضل - حسب الرواية –في تعليم النبي عليه السلاموتعليمنا العقيدة الإسلامية ! وكأن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس بنبي ولا رسول.

وما زالت هناك العديد من الأحاديث المنسوبة إلى النبي زوراًتتحدث عن هذه العقيدة الكاذبة، ولا يسع المجال لذكرها هنا حيث سنستدل بأقوال «شيخ الإسلام»- ابن تيمية -إذ أنه يعتبرالأعلى في الهرم الذي يؤمن بهذه الخرافة، وهوواحد من الذين رسخوا لها. يقول ابن تيمية :

«... وقد يرى خارجا من قبرهوال عذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من قبره ...» [31]

«... بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح مفردة عن البدن». [32]

هذا الخبل الفكري الخرافي لا يقبله عقل ولا سمع، فما بالك بنسب هذا الفكرللدين الحنيف الإلهي.وفي كلامه حول اتفاق أهل السنة والجماعة تدليس أوعدم اطلاع، سنوضحه فيما هو قادم، وسنذكركذلك أحاديثا أخرى عند ردنا على هذه الأحاديث.

---

31 - مجموع الفتاوى 5/526.

32 - مجموع الفتاوى 4/262.

ويجب الإشارة إلى أمر بالغ الأهمية حول هذه العقيدة، وهو الأسباب المنجية من عذاب القبر، وهي مستقاة من نفس مصادر الخرافة :

- الموت بمرض البطن.
- قراءة سورة الملك.
- الموت يوم الجمعة.
- الاكثار من ذكر الموت.
- وضع الجريد على القبور.

وسنناقش هذه الأسباب أثناء الرد على الأدلة المزعومة.

الآيات :

قد يسأل أحدهم ويقول : لماذا وضعت الآيات بعد الأحاديث ولم تفعل العكس، وأنت تطالب بتقديم الآية على الرواية ؟!.

أقول : أحسنت الرؤية والاستنتاج، فقد تعمدت وضع الأحاديث قبل الآيات لعدة أسباب، منها :

- أدلة القائل بعذاب القبر هي الأحاديث، حيث لو ثبت عذاب القبر بالآية القطعية فما الحاجة للاستدلال بالظني ؟!.
- منهج القائل بعذاب القبر يقوم على تقديم الرواية على الآية، وإن تعارضا فإن الرواية الظنية أقوى من الآية القطعية كما يقولون !.
- عدم وجود آية واحدة تدل على هذه الخرافة.

يستدل المؤمن بعذاب القبر ب 3 آيات كأقصى تقدير، لكنني حاولت تجميع كل الآيات التي استدل بها أي شخص يذهب لهذا الاعتقاد، فجئت ب 9 آيات قرآنية :

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (إبراهيم 27)

{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (السجدة 21)

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (غافر 46)

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} (التوبة 101)

{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (الطور 47)

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الأنفال 50)

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأنعام 93)

{مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} (نوح 25)

{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (محمد 27)

يدعي المؤمن بهذه العقيدة أن القرآن دل عليها في نصوصه الصريحة، وهذا ادعاء باطل وكاذب، فلا توجد آية صريحة حول إثبات «عذاب القبر» كما هو واضح في الآيات السابقة، بل وفي القرآن بأكمله.

وقد رد **ابن القيم** في كتابه الروح و **ابن كثير** - في القرن الثامن - عن هذا الادعاء الباطل في تفسيره لآية **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا}** حين قال : «أما

حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث».[33]

الرد على الأحاديث :

العقائد :

إن العقائد لا تثبت بالأخبار الآحاد، وهذا ما عليه جمهور المسلمين (شيعة وسنة وإباضية ...)، لأنّ الآحاد ظنٌ والعقيدة تحتاج لليقين، لذلك فقد ذكر الله عزوجل جميع العقائد في كتابه الكريم حصراً، ولم يتركها للعنعنة أو للأخبار الظنية. وجميع ما استدل به المخالف هي أخبار آحاد تفيد الظن لا اليقين، ولا تثبت عقيدة أصلاً.

والجمهور يقبل الآحاد في العمليات، أي الفروع، كأحكام الطهارة والصلاة ونحوها، لكنهم لا يقبلونها في العقائد والأصول. أما المخالف فإنه يقبل الأخبار الآحاد في الأصول والفروع، وهذا ما قادهم لعقيدة التجسيم والتشبيه، إذ العديد من الآثار الواردة بخبر الواحد في صفات الله جل وعلا تقود حتماً للتجسيم والتشبيه، وهذا ضلال ما بعده ضلال، والعياذ بالله، ولذلك سُموا ب «**الحشوية**».

على سبيل المثال لا الحصر، فقد كان النخعي يترك العمل بخبر الواحد إذا جاء مخالفاً لقياس الأصول، فما بالك إن خالف الأصول نفسها، لأن ثبوت الأصول ثبوت قطعي، أما ثبوت خبر الواحد فهو ثبوت ظني، ويترك الظني في مقابلة القطعي. وكان يترك العمل بخبر الواحد إذا ورد فيما تعم به البلوى، ويكثر وقوعه، لأن ما كثر وقوعه كثر السؤال عنه، وما كثر السؤال عنه كثر الجواب عليه، فإذا لم ينقل إلا بخبر الواحد، فإن هذا النقل يدعو إلى الشك في أصل الخبر، وهذا مذهب الحنفية.

33 - الروح لابن القيم، ص: 131.تفسير ابن كثير 4/81.

ويحارب المخالف هذه القاعدة وأمثالها بشدة، ومن القواعد التي يحاربونها، قاعدة «**صحة السند لا تستلزم صحة المتن، وحديث الآحاد الصحيح ليس قطعي الثبوت عن رسول الله، وإنما يغلب على الظن أنه من قوله أو فعله**».

ومنذ القدم، فقداستخدم هذا التيار - القائل بعذاب القبر - التدليس على الناس، والقول بأن أحاديث عذاب القبرأحاديث متواترة، لعلمهم بأن الناس لا تعلم الكثيرحول علوم الحديث، وهذا كذب وتدليس لا أصل له ولا حقيقة عليه.

لهذا يجب علينا أن نوضح معلومات بسيطة حول الحديث المتواتر والآحاد. فما هي ؟.

المتواتر والآحاد :

إن الأخبارعلى ضربين :

أحدها : **الأخبار المتواترة**، هي ما رواه جماعة يستحيل أن يتواطؤوا على الكذب وأسندوه إلى شيء محسوس. كمثل نقل الأمة الصلوات الخمس ... ومن ادعى الإجماع حول هذا فإنه مخطئ، فالبراهمة والسمنية أنكروا وقوع العلم من جهة الأخبار المتواترة، وقالوا إنه يفيد الظن الغالب دون العلم، وقيل أنه يفيد العلم في الموجودات كوجود المدن والبلدان، والنظامية قالت بجواز اجتماع الأمة على الخطأ ولا حجة في الأخبار المتواترة، لأنه يجوز أن يكون وقوعها كذباً، وقال أبو حسين البصري والكعبي إنه يفيد العلم، ولكن ذلك العلم ثابت بالنظر.

والمتواتر ينقسم إلى:

المتواتر لفظاً ومعنى: ما اتفق فيهالرواة على لفظه ومعناه. ولا وجود له البتة.

المتواتر معنى فقط : ما اتفق فيه الرواة على معنى كلي، وانفرد كل حديث بلفظه الخاص.وهذا إن تساهلنا في وجوده أساساً فهو قليل ونادر.

وعند بعض أئمة الحديثوالمحققين، كالنووي، ابن حبان، أبو حيان، الشاطبي، الحازمي والبستي ... لا يوجد حديث متواتر أصلاً. وقد ذكر ذلك ابن الصلاح في مقدمته - الشهيرة - في علوم الحديث.

ولا يحسبن أحد أن مسألة التواتر مسألة قطعية لا اختلاف فيها، بل هي على العكس من ذلك كما أشرنا قبل قليل، فالتواتر فيه خلاف كبير بين الفقهاء والمحدثين في إثباته وفي حده وفي أنواعه ... لذلك نجد أن الواقع والعلم أثبت خلاف ما تواتر عن بعض الناس والأمم، على سبيل المثال لا الحصر تواتر أماكن لا وجود لها وقصص بعض الخرافات كقصة صلب عيسى عليه السلام، والأساطير من مخلوقات كالغول وحورية البحر ورجل الماء ... إلخ.

يقول ابن حجر العسق لان يعن الحديث المتواتر : «وأن يكون مستند انتهائه الأمر المشاهد أو المسموع لا ما ثبت بقضية العقل الصرف»، وشروطه 4 هي :

1- عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب.

2- رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

3- وكان مستند انتهائهم الحس.

4- يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه.

وإذا ما طبقنا هذه الشروط، فالمتواتر هو ما رواه على الأقل 5 من الصحابة، ثم عن كل واحد منهم روى الحديث خمسة من التابعين، أي 25 تابعي، ثم عن كل واحد من التابعين رواه 5 من تابعي التابعين، أي 125 من تابعي التابعين، ثم عن كل واحد من هؤلاء رواه 5، أي 625 شخصا، ثم عن كل واحد من هؤلاء رواه 5 أشخاص، أي 3125 شخصا، هكذا دواليك.[34]

34 - نزهة النظر، ص: 39-40.

ولا يوجد حديث من أحاديث عذاب القبر تنطبق عليه هذه الشروط، بل إن هذه الأحاديث مروية عن بعض المدلسين، وأغلبها لا يصل إلى درجة الصحة من الأساس، فانظر لهذا العبث.

وهنالك اتجاه يرى أن كل ما وصلنا عن النبي من أخبار هي أخبار آحاد، يقول ابن حبان «وأما الأخبار فإنها كلها آحاد، لأنه لا يوجد عن النبي خبر من رواية عدلين، روى أحدهما عن عدلين، وكل واحد منهما عن عدلين، حتى ينتهي ذلك إلى الرسول».[35]

لذلك فمن يدعي أن هذه الأحاديث متواترة، لا شك أنه مشاغب وهذا لا حديث معه، أو جاهل بذلك فنعلمه هذا ثم نناقشه ونوضح له الأمر.

والأخر : **الأخبار الآحاد**، وهي ما سوى المتواتر، وهي ما نقله عدد يسير عن مثلهم حتى يصل إلى من روى عنه.وتصنف للمشهور (ما رواه 3 فأكثر ولم يبلغ حد التواتر)، العزيز (ما رواه 2) والغريب (ما رواه واحد فقط)

أما خبر الآحاد فلا خلاف أنه إذا لم تتلقه الأمة بالقبول لا يحصل به العلم. أما إذا تلقته الأمة بالقبول، فقد اختلف فيه العلماء وذهب كثير منهم إلى أن خبر الآحاد مظنون، فلا يجوز التمسك به في معرفة الله تعالى وفي العقائد.[36]

إن الغالبية العظمى من الأحاديث المروية في كتب الحديث ومنها الصحيحان أحاديث آحاد، وقد قرر فقهاء الأمة وعلماء الأصول أن خبر الآحاد ولو كان صحيحاً لا يفيد وحده أكثر من غلبة الظن بصدوره عن النبي.وبما أن خبر الواحد لا يفيد العلم وظني فلا تثبت به عقيدة، لأن العقيدة أصل من أصول الدين، فكيف يثبت الأصل بالظن ؟.

35 - مقدمة صحيح ابن حبان، ص: 63.

36 - أساس التقديس، ص: 215. الكفاية، ص: 41 ، 472. الكوكب الدري شرح الكرماني 11/25. التعريفات للجرجاني، باب الخاء، ص: 97. نزهة النظر، ص: 25-26.

يقول أبو زيد الدبوسي : «فأكثر الأهواء والبدع كانت من قبل العمل بخبر الواحد اعتقاداً أو عملاً بلا عرض على الكتاب أو السنة الثابتة، ثم تأويل الكتاب بموافقة خبر الواحد وجعل المتبوع تبعاً، وبناء الدين على ما لا يوجب العلم يقيناً، فيصير الأساس علماً بشبهة فلا يزداد به إلا بدعة. وكان هذا الضرر بالدين أعظم من ضرر من لم يقبل خبر الواحد فاضطر إلى القول بالقياس، أو استصحاب الحال، إذا لم يجد الحكم الواقع فى كتاب الله تعالى، لأن هذا الرجل ما أخذ بحكم الكتاب، وجعل أساس دينه ما فيه اليقين إلا أنه رد خبر الواحد لتهمة الكذب وشبهته ثم وقع فيما هو أبلغ منه تهمة من رأيه أو التمسك بأي أصل كان. والأول جعل خبر الواحد أصلاً فعرض كتاب الله عليه وبنى دينه على ما لا علم له به يقيناً، فكان القول العدل الوسط أن يجعل كتاب الله تعالى أصلاً، وهو الثابت يقيناً، وخبر الواحد مرتباً عليه يعمل به على موافقته أو إذا لم يوجد في الكتاب ما فيه خبر الواحد، ويرد إذا خالف بحكمه حكم كتاب الله تعالى«. [37]
أما علي الطنطاوي فإنه يقول : «الأحاديث التي يرويها واحد عن واحد لا نستطيع أن نجزم بأن الرسول قد نطق بها، كما نجزم بصحة نص القرآن، لذلك نحكم بكفر من يكذب شيئا من القرآن، ولا نحكم بكفر من ينكر شيئا من تلك الأحاديث» .[38] والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي يقول : « الأخبار على ضربين : أحدهما يوجب العلم وسكون النفس، كالخبر عن البلد وغيرها. والآخر يعلم صحته بالاستدلال كخبر الله وخبر رسوله وخبر الأمة وخبر العدد الذي لا يتفق الكذب منهم في الأمر الظاهر. فعلى هذين نقول في الديانات. فأما أخبار الآحاد وما لا يعلم صحته، فإنا لا نعول عليه في هذه الأبواب، ونقبله في فروع الفقه على ما يجيء ذكره».[39]

37 - تقويم الأدلة، ص: 197.

38 - تعريف عام بدين الإسلام، هامش صفحة: 107.

39 - رسائل العدل والتوحيد 1/240.

ومعلوم عند أصحاب العقول، أن صحة السند لا تستلزم صحة المتن، وحديث الآحاد الصحيح ليس قطعي الثبوت عن رسول الله، وإنما يغلب على الظن أنه من قوله أو فعله. ويستحيل الاعتماد والاستدلال بالظن في مجال القطعيات والعقائد، وقد نهى القرآن الكريم عن اتباع الظن، فما بالك إن ناقض هذا الظن الأصول العقلية والنقلية والسمعية .... .

والآيات التي تنهى عن اتباع الظن كثيرة، منها قوله عزوجل **{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}**. بل إن القرآن يطالب الناس بالدليل والبرهان القطعي على صحة دعواهم **{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**.

وجل الأصوليين وغيرهم متفقين على أن العقيدة لا تثبت بالظن، والأخبار الآحاد ظنية. والأمور العقلية قطعية، إذ الظن لا يقبل في القطعيات. [40]

وبالاعتماد على القرآن الكريم، فإن الظن لا يغني من الحق شيئا **{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}**، لأن الدين وما يتعلق به يبنى على العلم والبرهان والدليل، لنصرة الحق ودحض الباطل، والظن لا يدرك به الحق ولا يقوم مقام العلم اليقيني المعتمد على الأدلة والبراهين.

وبهذا تكون الأحاديث خارجة من الأدلة لكونها آحاداً، أما القصص والحكايات الخرافية والمنامات ... فليست بحجة معتبرة عند العقلاء.

ونحن هاهنا لا نستدل بأدلتنا، بل نُلزمهم بأدلتهم وأصولهم، فيبطل قولهم وما ذهبوا إليه.

يجدربنا الإشارة إلى مسألة مهمة بخصوص أدلتهم، فهم يستدلون بأدلة تقول أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يعلم بهذه العقيدة المزعومة إلا في المدينة، وقد أنكرها في بداية الأمر «... كذبت يهود وهم على الله كذب، لا

---

40 - الموافقات، ص: 18-19.

عذاب دون يوم القيامة».[41] لكن المؤمن بهذه العقيدة يقول أن النبي كان يجهل هذا الأمر وينكره، رغم أنه أمر غيبي لم يتنزل به الوحي، ثم ينزل الوحي بعدها مصدقاً لليهودية !. وليس عند اليهود ذكر لهذه الأمور في كتبهم أصلاً، ومعلوم أن أمور العقيدة هي أول الوحي، لكن هؤلاء يقولون عكس ذلك تماماً، فيصبح من مات قبل علمه بهذه العقيدة في ورطة حين يجد «منكر ونكير» في القبر، وهو لا يعلم من هؤلاء وماذا يريدون !.

وقد يقول قائل : من مات قبل هذا الاعتقاد ليس بأعظم ممن مات منهم قبل الوحي بإيجاب الصيام والزكاة ... فنقول له : هذا وجه الاختلاف معكم، فنحن نتحدث عن العقيدة لا عن الشعائر والعبادات، فالعقيدة هي أصل الدين، وهي دعوة كل الرسل من نوح وإلى محمد عليهم صلوات الرحمن وسلامه، والعقيدة هي أول ما يوحى، فلا يمكن لأحد أن يؤمن بعقيدة ناقصة أو مجهولة كما تزعمون.

والأعظم من هذا أنهم يستدلون بآيات مكية على هذه العقيدة المدنية ! وهذا يقودهم للقول بأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يجهل معنى هذه الآيات ! وهذا قول وافتراء عظيم، وكذب على خاتم المرسلين، يوجب الكفر والنفاق. وهذا دليل على أن الآيات لا شأن لها بعذاب القبر من الأساس، بل هي فرية افتراها البعض وصدقها من نبذ القرآن وراء ظهره، إما جهلاً أو تقليداً.

إن المنهج الذي يدعو إليه شيوخ القبور منهج ضال، فمن المستحيل أن ندع كتاب ربنا من أجل قصص خرافية، لذلك فلا بد من قدر الله عز وجل حق قدره، وكذا نفعل مع كتابه الكريم.

لا بد لنا أن نجعل القرآن الكريم هو العمدة ومحور إسلامنا، فالرسول -صلى الله عليه وآله وسلم -جاء بإسلام القرآن **{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}**.لا بدين الشيطان الذي يقول **«السنة قاضية على الكتاب»**. [42]

41 - مسند أحمد 41/66.

42 - سنن الدارمي 1/145.

المنهج الضال :

إن أكثر ما نختلف فيه مع الطرف الآخر هو المنهج المتبع، فهم يعتمدونعلى الروايات في المقام الأول، وإن خالفت القرآن الكريم والسنن الكونية والتاريخية، فيقدمون الرواية على الآية ولا يستحون من الاعتراف بذلك.

ويعتمدون كذلك على الآيات الظنية لاستخراج الأحكام منها، وهذا باطل ومخالف للقرآن الكريم، فالأحكام والعقائد تستخرج من الآيات المحكمات كما علمنا ربنا عزوجل في قوله عزوجل{**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**}.

يعاني صاحب هذا المنهج من إشكالية فهم النص خارج سياقه، وفهم الموضوع بالاستناد لآية واحدة، أوجزء من آية فقط، وترك عشرات الآيات الأخرى المبينة للآية التي اعتمد عليها وحدها.

وهذا ما قادهم للاعتماد على الآية المتشابهة ونبذ الآية المحكمة وراء ظهورهم، وهذا الفعل خاص بأهل الزيغ كما وضح الله عزوجل في صريح الآية السابقة. فإن القراءة الشمولية للنص ضرورية من أجل فهمه واستيعابه، لكنهم اعتمدوا على القراءة العضين، رغم أنها فعل مذموم بنص القرآن {**وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}.

إن هذا المنهج ليس وليد اللحظة كما يزعم البعض، بل هو فكرومنهج قديم وراسخ في العقل الجمعي للأمة، فالكرخيالحنفي قال «كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أومنسوخة، وكل حديث كذلك فهو

مؤول أو منسوخ» !.[43]ولم ينفرد الكرخي أو ابن تيمية فقط بهذا المنهج، بل هو متأصل في أتباع الملة المحمدية، فهناك أقوال أخرى يندى لها الجبين، للجويني والهراسيوابن العربي المالكي ... ولا يسلم من هذه العصبية إلا قليل نادر، وأمثال هذا المنهج والتعصب كثير، لكننا لسنا في مقام ترتيله.

وهذا المنهج ما قاد **ابن تيمية** للفقه الأموي الناصبي الدموي، لدرجة جعلته يقول «**يستتاب وإلا قتل**»في 428 فتوى !!وقال عن أهل بيت رسول الله ما لا يقوله إلا ناصبي حاقد !!.

وهذا المنهج ما قاد أهل السنة والجماعة لجعل 4 محاريب في الحرم المكي، لكل مذهب مقام خاص به ! وكانوا يصلون صلاة المغرب في وقت واحد فتتداخل الأصوات مع بعضهم البعض ! وقال بعضهم أن زواج الشافعي من الحنفية حرام !! فوصل الأمر لحروب ومعارك بين الأحناف والشافعية في أصفهان والري !!.

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره قولاً يؤكد ما نذهب إليه من بطلان المنهج، حيث قال : »قال شيخنا ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين قد شاهدتُ جماعةً من مقلّدة الفقهاء، قرأتُ عليهم آياتٍ كثيرةً من كتاب الله تعالى في بعض المسائل، وكانت مذاهبُهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها، وبقوا ينظرون إليَّ كالمتعجِّب، يعني: كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أنَّ الرّواية عن سلفِنا وردت على خلافها، ولو تأمَّلت حقَّ التأمُّل وجدتَ هذا الدَّاء ساريًا في عروق الأكثرين من أهل الدُّنيا.»

إن هذه الأفعال والأقوال لا تصدر ممن كان القرآن الكريم كتابه وسنة النبي هديه، فهذه أفعال من جعل المذهب وصاحبه الحجة المعصوم، وهؤلاء مصداقٌ لقوله عز وجل{**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم**}فانظر رحمك الله لمفاسد اتباع الهوى والظن.

---

43 - أصول الكرخي، ص: 730-732.

أقول : إن أهم سبب يجعل هؤلاء لا يعترفون ببطلان كلامهم وكلام من سبقهم، هو عدم القدرة على الاعتراف بأن السابقين أخطأوا، ولا ضرر في وقوعهم في الخطأ، بل إنه دليل على بشريتهم وعدم عصمتهم، إلاّ إن حاول هؤلاء القول بعصمتهم، وبعضهم يقولونها ويعتقدون بها إما ظاهراً أو باطناً أو معاً.

وما نراه اليوم - وعبر التاريخ - من تحريم الحلال، ثم تحليله بعد مدة، والعكس صحيح، إلا شاهد على ما نقول وعلى سوء هذا **المنهج الضال**.

ضعف الأحاديث :

رغم أن أحاديث عذاب القبر هي أحاديث آحاد، ولا قيمة لها في إثبات العقائد حسب قواعدهم، إلا أن جلها، إن لم نقل كلها، معلولة سنداً. ولا نتحدث هنا عن المتن، فهذه الأحاديث مردودة متناً لمخالفتها لجملة من قواعد نقد المتن، سواء المتفق عليها أم المختلف.

ويظن البعض، ممن لم يدرس ولم يعرف، أن المحدثين متفقون على أصول تقويم الحديث من جهة القبول والرد، وهذا غير صحيح وباطل تماماً. فالمحدثون مختلفون في عدة أمور منها :

- الاختلاف في تجريح الراوي وتعديله، ولهذا ارتباط بتخريج الأحاديث.
- الاختلاف في المدلسين.
- الاختلاف في الشروط.
- الاختلاف في التصحيح والتضعيف.
- الاختلاف في الترجيح بكثرة الرواة.
- الاختلاف في قبول الحديث المرسل.

وهذا عند المحدثين فقط، فما بالك بالفقهاء والأصوليين والمتكلمين ... فمن المعلوم عند أصحاب الأصول والفقه أن أخبار الآحاد لا تفضي

إلى حقيقة العلم، وأدلة الطرف الآخر إنما هي أخبار آحاد، فهذا يلزمهم بإبطال أدلتهم وسقوط صنمهم.

إن المنهج النقدي الذي نتبعه لا يسوغ ولا يقبل التصحيح بالشواهد ولا بالمتابعة ولا على الأبواب ... بل إننا نلتزم الصرامة العالية، والنظرة النقدية لفحص كل الأحاديث والمرويات قبل قبولها.

وسنأخذ حديثاً واحداً كأنموذج، وهو حديث «... جاءت يهودية تسأل عائشة فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ...». فهذا الحديث وإن كان في الصحيحين والموطأ ... فهو ضعيف من جهة السند، مردود من جهة المتن، والكلام عن المتن سنسرده في مواضع أخرى، أما الكلام عن السند فلأن فيه عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي أبو مروان، وهو غير موثق.[44]

وجل الروايات السابق ذكرها، إما نقلها مدلسين أو مجاهيل أو غير موثقين، ووفق قواعدهم الحديثية فلا تقوم الحجة بهؤلاء !، ولا يسعنا تفصيل ذلك هناكي لا يزداد حجم الكتاب أكثر، لذلك نحيل كل باحث إلى كتاب المستشار **أحمد عبده ماهر «أوهام عذاب القبر».**[45]

يعتبر كتاب **«الروح» لابن قيم الجوزية** من أهم الكتب التي جمعت سمعيات عذاب القبر، وعودة الروح إلى الجسد وسؤال الملكين ... ويتضح أن أغلب ما ذكر فيه، ما هو إلا نقل لتعاليم الأمم الأخرى للإسلام وتوثيقها، فالسمعيات من أوسع أبواب علم الكلام تأثراً بالأفكار الأجنبية الدخيلة، خاصة الإسرائيليات وغيرها، وللخيال والوضع فيها مجال فسيح، إرضاء للجماهير أو رغبة في التهويل والتحذير.[46]

وكذلك بالنسبة لكتاب **«إثبات عذاب القبر» للبيهقي**، لكن من العجيب أن البيهقي جاء ب 220 خبر عن عذاب القبر، وفي القرن الثاني لم

---

44 - تاريخ علماء الأندلس 1/292.

45 - أوهام عذاب القبر، ص: 107-141.

46 - في الفلسفة الإسلامية 1/169.

يكن هناك سوى خبرين عن هذه العقيدة، ولم يذكر - البيهقي - القصة التي أنكر فيها النبي هذه العقيدة أول الأمر في كتابه !! (حسب رواياتهم وأدلتهم).

وما قام البيهقي بجمعه ما هي إلا أخبار، لا أدلة، وعموم أهل السنة ينكرون الروايات التي تتحدث عن كيفية هذا العذاب وتفصيله، يقول **الطحاوي**: ونؤمن بعذاب القبر لمن كان أهلاً له ... ولا نتحدث عن كيفيته ...

وهذا دليل على عدم صحة الأخبار التي تتحدث عن الكيفية والتفصيل، لذلك نقل الطحاوي التوقف في هذه المسألة عن أبي حنيفة، فقد اختلفوا في أنه هل تعاد الروح إليه أم لا ؟ والمنقول عن أبي حنيفة التوقف !.[47]

والاختلاف أقوى دليل على عدم وجود نص صريح حول هذه المسألة، إذ لو وجد النص القطعي لزال الاختلاف والتوقف، ومن يزعم أن عذاب القبر عقيدة يجب الإيمان، فإنه ينسب لله عزوجل - من حيث يدري أو لا يدري- النسيان ! فهل نسي الله عزوجل أن يوحي لنبيه الكريم هذه العقيدة في نصوص محكمة ؟! حاشاه عزوجل من هذا الهراء.

وذكر الطحاوي عذاب القبر دون ذكر نعيمه، والأحاديث كذلك تتحدث عن العذاب دون النعيم، لكن لا نعلم من أين جاؤوا بالنعيم المزعوم، وهذا خطأ عام يقع فيه أغلب من تكلم في هذا الموضوع. والعقل البشري لا يستطيع أن يتصور في العادة إلا عذاباً أو نعيماً في هذا القبر على هذا الجسد الذي أمامه والذي يراه بعينه ... وسؤال منكر ونكير في قبر الإنسان عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار، فهي من أخبار الآحاد ولم تتواتر عن النبي عليه الصلاة والسلام، والحق أن هذا السؤال إن قلنا به فهو على الروح في البرزخ لا على الجسم والروح، لأن الروح لا تعود إلى الجسم خلافا لما جاء في بعض الأحاديث والأقوال، لأننا إذا قلنا بأن الروح تعود للبدن في القبر فإننا نعارض القرآن الكريم الذي ينص على أن هناك حياتين وميتتين في مثل قوله تعالى**{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا**

47 - انظر متن العقيدة الطحاوية.

اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**.الموتة الأولى هي العدم الذي كان الناس فيه قبل أن يخلقهم الله تعالى، والحياة الأولى هي الحياة الدنيا، والموتة الثانية هي الموت بعد هذه الحياة الدنيا، والحياة الثانية هي إحياؤهم يوم القيامة والبعث.

ولا يصح لأي إنسان أن يتمسك بقوله تعالى **{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** مستدلا به على حياة ثالثة، لأنه لم يذكر قبله موتاً بل عطف سبحانه هذه الجملة على الحياة الثانية ولم يفصل بينهما بذكر موت، كما أن القول بخلاف هذا يعارض الآية الأولى التي قررت أن غاية هذا البيان موتتان وحياتان **{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}**.

وقضية أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، جاءت في حديث ضعيف جداً، رواه الترمذي في سننه وفي سنده علل منها الراوي عبيد الله بن الوليد الوصافي.[48]

ومن زعم أن أحاديث عذاب القبر متواترة، فهو لا يدري ولا يفقه شيئاً بخصوص علوم الحديث. فأحاديث عذاب القبر، المهدي المنتظر، المسيح الدجال ورجوع عيسى ... جلها موضوع مكذوب مردود، وما صح منها سنداً، فهو لا يصل لدرجة التواتر على الإطلاق. هذا دون التطرق للمتون التي لا تصح البتة.

إن عقيدة عذاب القبر ليست من عقائد أهل الإسلام والإيمان , ولم يكن الأقدمون يذكرونها في كتب التوحيد والعقيدة, وإنما فعل ذلك من جاء بعدهم، وكما أشرنا سابقاً، فإن الأحاديث التي جاءت فيها ليست من الصحة بحيث تكون عقيدة على مباني مخالفينا، بل هي أحاديث ضعيفة واهية لا يُعتمد عليها في ما نناقشه.

48 - صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص: 464-466.

لذلك يجب الاعتراف وبكل صدق، أن الخرافات قد امتزجت مع العقيدة السليمة لدى جميع الطوائف، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، ولا يتسع المجال لذكرها هنا.

ولم يأت قط عن رسول الله في خبر يصح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة، ولو صح ذلك لقلنا به، فإذ لا يصح فلا يحل لأحد أن يقوله، وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح المنهال بن عمرو وحده، وليس بالقوي. تركه شعبة وغيره، وسائر الأخبار على خلاف ذلك. [49]

وقد ضعف الدكتور العثماني الهندي، وهو سلفي، أسانيد جميع الروايات التي تخبر بعودة الروح إلى الجسد وأن العذاب يقع عليهما، بل ونفى الرواية التي تخبر بعودة روح النبي إلى جسده في قبره. ونحن كذلك ننفي هذه الروايات الموضوعة وأكثر !. [50]

وكذلك الألباني ضعف مجموعة من هذه الأحاديث في مجمل أعماله، والمتتبع لكتب الألباني وأعماله في الأحاديث، يدرك أنه متساهل في تصحيح الأحاديث كثيراً، حتى قال البعض أنه لا يكاد يضعف حديثاً لتساهله في التصحيح لأهون الأسباب ! وتضعيفه لحديث ما يدل على عدم وجود سبب أو قرينة لتصحيح ذلك الحديث. فما بالك إذا علمت أنه ضعف جل الأحاديث التي تتحدث عن عذاب القبر في سلسلته عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

قد يسأل أحدهم، ما السبب الرئيسي لهذا الركام الخرافي ؟.

أقول :القُصاص، فكما وضحنا ذلك في الفصل الأول من الكتاب، لا بد أن نشير لأقوال فقهاء الإسلام وغيرهم حول هذه الظاهرة.

فعندما سئل **سفيان الثوري** عن القصاص وهل يستقبلهم الناس ؟ قال : ولوا البدع ظهوركم. [51]فظاهرة القص ظاهرة مستجدة مبتدعة،

---

49 - الفصل 4/119.

50 - هذه المقابر والعتبات، ص: 38-39.

51 - الآداب الشرعية 2/89.

وقد فصلنا هذا في الفصل الأول، وسلبياتها أكثر من إيجابياتها، فمعظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القصاص. [52]وروى الطبراني عن خباب بن الأرت «إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا» وعندما سئل مالك بن أنس عن القصاص قال «ما أرى أن يجلس إليهم وإن القصص لبدعة» وأحمد بن حنبل قال «أكذب الناس السؤال والقصاص وما أحوج الناس إلى قاص صدوق» وهذا يدل على ندرة وجود قاص صدوق، أو يدل على عدم وجودهم أصلا. [53]

إن أحاديث عذاب القبر ومنكر ونكير والشجاع الأقرع ... أحاديث موضوعة مصنوعة لا أساس لها من الصحة، ومن العار نسبتها للنبي عليه الصلاة والسلام، ووضحنا أنها صناعة أموية متأثرة بالحضارات المجاورة السابقة.

والباحث الصادق في مجال العقيدة، تحديداً مسألة ما بعد الموت واليوم الآخر والحساب ... يجد أن هذا المجال واسع وخصب للخرافات الغير عقليةوالخيالات الغير سمعية، وقد وقع في هذه المتاهة بعض من يعدهم الناس رؤوس الفكر الإسلامي وأعلامه من متكلمين وفقهاء ومحدثين، دون تمييز أو استثناء إلا من شذ.

إن الموت ليس محل دراسة من الأساس، فالموت حالة سبات وتوقف فاعلية، عكس الحياة وهي محل الدراسة، لذلك انكب القصاص على دراسة الموت، فكانت أقوالهم وكأنها خارجة من قبور نتنة.

لذلك فإن الأفكار القديمة تتحول إلى أوثان إن وقفت بوجه الأفكار المنطقية العقلية، وإن أخذت سمة العصمة والقداسة .. وإن تحولت إلى ذريعة للتكفير والقتل .. فالحجة مع البرهان والدليل، لا مع هذا ما وجدنا عليه آباءنا.

---

52 - القصاص والمذكرين، ص: 308.

53 - الآداب الشرعية 2/82.

من المفارقات العجيبة أن هؤلاء يؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، ويستدلون على العذاب بآيات قرآنية، وسنوضح أنها ليست دليلاً عليه، ولكن نعيم القبر حسب أقوالهم وشروطهم فليس له ذكر في القرآن البتة !! وعندهم عشرات الروايات التي تتحدث عن العذاب، لكن يوجد حديث واحد فقط عن هذا النعيم،والعجيب في الأمر أن هذا الحديث ضعيف ! فانظر يرحمك الله لهذا التهافت.

فإن قيل : بل هناك أحاديث عديدة عن نعيم القبر، ولكن بمفهوم البشارة بدخول الجنة أو الإخبار باستحقاقها.

قلت : بل هذا دليل لنا لا لكم، فهذا ما نقوله نحن بشأن ما تسمونه أنتم عذاب القبر، فنحن نقول بما قال رب العالمين{**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**}.

فنحن نختلف مع من يؤمن بعذاب حسي مادي، ونختلف كذلك مع من ينكر كل شيء دون تفصيل ولا توضيح. فما نذهب إليه قريب جداً مما ذهب إليه ابن حزم الظاهري وجل المعتزلة وغيرهم كثير.

ولم يكن يعلم مجتمع الصحابة-قطعاً - هذه العقيدة الخرافية، ولا ينكر هذا إلا مجاحد. فإن قيل : بل جميع الصحابة كانوا يؤمنون بذلك، والنقل دليل على ذلك.

قلنا : هذا تدليس واضح، فما تستدلون به هو ما ننفيه نحن، ألا وهو النقل المعلول. فلو كان الأمر كما تزعمون، فلماذا لم تصلنا أخبار متواترة على ذلك ؟! ولماذا وصلنا خلاف دعواكم ؟. وبهذا علمنا أنهم ما علموا بهذه العقيدة، والعلم بهذا أقوى من خلافه.

ونُلزمكم بما ألزمتم به أنفسكم، فالروايات تقول أن النبي خرج في الطرقات يصيح مستعيذاً بأعلى صوته من عذاب القبر، ومع هذا نجد أن الحديث آحاد !! فهل هذا معقول.

ولم ينقل عن أي صحابي أن النبي حي بعد موته ! ولا بوب أي محدث عن حياته بعد موته، واقتصروا على باب موته فقط. فإن قيل أن هذه العقيدة تكاد تكون من المسلمات عند عموم الناس.

قلت : هذا محل الخلاف معكم، فنحن لا نؤمن بعقيدة لا دليل عليها ولا أصل لها، على خلافكم. لذلك فتدينكم مليء بالخرافات، وهذا ما نحاول توضيحه.

أما الروايات التي تقول أن النبي حي يرزق في قبره ! ويصله السلام، وتعرض عليه الأعمال، أو الروايات التي تتحدث بما يخالف المعقول ... فإننا نعتبرها باطلة وساقطة عن الاعتبار، ومردودة متنا وسندا، رواية ودراية.

والرواية التي تقول أن الطين لا يأكل جثمان الأنبياء، ضعيفة، ولا دليل ينهض على هذه الدعوى من الأساس، بل إن في القرآن ما يخالفها ويناقضها، مثل قصة من يسمونه عزير، ولا دليل على الربط بين ذاك الشخص وهذا الاسم !.

ومن الأمور المنتشرة بين الناس بجانب هذه العقيدة، مسألة تلقين الميت وقراءة سورة «يس» عليه. ولا دليل صحيح على هاتين المسألتين، نعم توجد أحاديث لكنها ضعيفة ولا صحة لها من الأساس، شأنها شأن جل ما وضع - زورا وبهتانا - على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام، وبعضها تُحمل على غير ما يذكرون كما أشار العز بن عبد السلام وابن القيم وغيرهما.

بعد أن جمعنا كل الروايات الخاصة بهذه العقيدة المزعومةوعرضناها علىالأصول كالقرآن الكريم والعقل السليم، تبين لنا ضعفها وتناقضها مع جميع الأصول السابقة، بل ولم نجد لها أصلاً أو ما يؤيدها، ووجدنا ما يخالفها وينكرها. وكلها - الروايات - مردودة متناً، وإن تنازلنا - جدلاً - عن تضعيف المتن، فلا تخل الأحاديث من ضعف ظاهر أو علل خفية مؤثرة قادحة في الأسانيد.

تناقض الأحاديث والخرافة :

إننا نستند على القاعدة المنطقية التي تقول، **لا حجة مع التناقض**، وسنطبقها حول هذه المسألة، وكما وضحنا- وسنوضح - فإن هذه العقيدة المزعومة مليئة بالتناقض، لذلك فلا حجة مع هذا التناقض الصارخ.

سنذكر هنا عددا من الأحاديث التي تتناقض مع بعضها البعض، ولا نذكر هذه الأحاديث للاستدلال بها، فنحن ننكرالموضوعة والضعيفة متنا، لكننا نذكرها هنا من باب إلزام المخالف بما ألزم به نفسه. وهذا ينطبق على جل الأحاديث التي ذكرنا.

بداية هذه الخرافة تقول أن النبي كان يجهل وجود عذاب القبر، إلى أن جاءت يهودية لعائشة وذكرت لها عذاب القبر، فسألت عائشة عن صحة قول اليهودية، فكذبها النبي أولا، ثم صدق دعواها بعدها !. وهذا لوحده دليل على بطلان الرواية والعقيدة المزعومة، فهل يترك الله عزوجل العقائد والإيمانيات لليهود كي يعلموها للنبي عليه الصلاة والسلام ؟!.

والروايات متضاربة حول هذا، فرواية تقول يهودية واحدة، ورواية تقول أنهما يهوديتان،ورواية تقول أن النبي كذب ذلك، ورواية تقول أن العذاب خاص باليهود فقط !. [54] ومن المعلوم أنه لا حجة مع التناقض، وهذا الحديثتجاوز التناقض والتصادم، ووصل لدرجة الهذيان والهراء.

إننا أمام أسئلةمهمة، من أين جاءت اليهودية بعذاب القبر، وكتبهم لا تتحدث عن ذلك من الأساس ؟!.

هل كان النبي ممتنعاً عن الاستعاذة بعذاب القبرويجهله إلا أن سمع كلام هذه اليهودية !!؟.

هل كان هنالك وجود لليهود بالمدينة المنورة في الوقت الذي توفي فيه إبراهيم ابن النبي عليهما الصلاة والسلام ؟.

---

54 - صحيح مسلم (1347).

لأن الروايات التي تقول بوجود عذاب القبر متفقة تاريخياً أن معرفته بعد وفاة إبراهيم ابن النبي عليه الضلاة والسلام، وهذا إشكال واحد من عديد الإشكالات المحيطة بهذه القضية.

في بعض الأحاديث أن النبي قال : «... إنهم ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم» وفي أحاديث أخرى أن النبي «...سمع صوتا حين غربت الشمس فقال هذه أصوات يهود تعذب في قبورهم».

وكأن هذا الحديث يشبه النبي بالبهائم في السمع، وهذا لا يجوز مع النبي عليه الصلاة والسلام. زد على ذلك أن الحديث الأخير يؤكد أن الناس سمعت أصوات اليهود التي تعذب في قبورها، وإلا فإن قوله «هذه أصوات يهود تعذب» يصبح من جنس العبث والتخبط، فكيف تفسر وتحيل شخصا على صوت لم يسمعه أساسا !.

وتوجد رواية أخرى تؤكد أن الناس تسمع ما في القبور، فعن ابن عباس قال : «ضرب بعض أصحاب النبي خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي فقال يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحتسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها، فقال رسول الله هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر». [55]

ونسأل، هل النبي سمع الموتى، والقرآن ينفي ذلك ؟.

وفي حديث منسوب للنبي - عليه الصلاة والسلام - قال : «كسر عظم الميت ككسر عظم الحي في الإثم». [56]

إن في الحديث دلالة على عدم تكسير «منكر ونكير» أو «الثعبان الأقرع» لأضلاع الميت.

55 - سنن الترمذي 5/164.

56 - أخرجه ابن ماجه عن أم سلمة.

وبعض الأحاديث تقول أن النبي خرج في الطرقات يصيح بأعلى صوته، يستعيذ من عذاب القبر، ثم نجد هذا الحديث من رواية واحد فقط، وكأن مجتمع المدينة كان فيه شخص واحد فقط، أو أن هناك شخص واحد من سمع هذا ونقله !.

وتوجد أحاديث أخرى عن ملكي القبر تتعارض مع الأحاديث السابقة، فهناك رواية تقول «سؤال ملكين ...» ورواية أخرى تقول «سؤال ملك واحد ...» !! وهذا تعارض واضح يستحيل نفيه، وانتبه إلى هذا القرطبي وقال بعدم وجود تعارض في ذلك ويمكن الجمع بين الروايات، قلت هذا ضعيف جداً ومردود لعدة أسباب، منها مخالفة قوله للمنطق والمعقول، فمجيء واحد يختلف عن مجيء اثنان، وهذا معلوم بداهة. وقد انتقد السيوطي قول القرطبي وضعفه في شرح الصدور، وقال باستحالة الجمع بين الروايات، لذلك رجح الروايات التي ذكرت الملكين لا الملك الواحد، ولا نسلم له في هذا كذلك.

واختلفت الروايات مرة أخرى في كيفية السؤال، فمنها أن الميت يسأل عن شيء واحد فقط (الاعتقاد)، وأخرى تقول بأنه يسأل عن أمور أخرى (التكليف)، وفي بعضها أنه يسأل في المجلس ثلاث مرات، وفي أخرى أن الميت يسأل سبعة أيام !!. وحاول القرطبي معالجة الأمر ثم استدركه السيوطي مرة أخرى !، وكلاهما مخطئ من وجهة نظرنا.

ولا نعلم ما موقف المخالف من الروايات التي تنفي عذاب القبر !. فربما لا يعلم أصلا بوجودها، لذلك سنذكر بعض الأحاديث والروايات التي تنفي وجود هذا العذاب، أو توحي بذلك :

«ربي قني عذابك يوم تبعث عبادك».[57] إن الحديث يتوافق مع آيات القرآن وروحها، ومع ما نذهب إليه. فالحديث يؤكد أن العذاب بعد البعث لا قبله، والعذاب بعد الحساب لا في القبور، كما يزعم هؤلاء.

57 - صحيح مسلم (1676).

«كذبت يهود وهم على الله عز وجل كذب، لا عذاب دون يوم القيامة». [58]ونلزم المخالف بهذا القول الذي يصدقه ويستدل به، فهذا جزء من رواية تذكر عذاب القبر، فنقول لهم هل النبي جهل بأمر العذاب ؟ أم أن الله عزوجل لم يوحيه إليه، وترك الأمر لليهود كي يعلموا نبينا بذلك ؟!.

ولم يتفق أهل السنة والجماعة ، لوحدهم فقط، على السؤال في القبر، أهو للمؤمن والمنافق والكافر، أم هو خاص ببعضهم والآخر لا ؟!!.

قال بعضهم أنه للجميع، مؤمن ومنافق وكافر. [59]وذهب البعض الآخر أنه خاص بالمؤمن والمنافق فقط، أما الكافر فلا سؤال له. [60]

والعجيب في الأمر أن هؤلاء وهؤلاء - وهم من أهل السنة -يستندون بالأحاديث، ومع ذلك فأقوالهم متضاربة مع بعضهم البعض !.

واختلفوا كذلك حول أن فتنة القبر خاصة بهذه الأمة فقط، أم يكون لغيرها ؟! وانقسموا لثلاثة أقوال، لا يسعنا المجال لذكرها. وجميعهم استند لأحاديث ومع ذلك اختلفوا فيما بينهم !!.

واختلفوا حول فتنة وسؤال الأطفال في القبور ! على قولين، واستندوا كلاهما على الروايات رغم اختلافهما !.فهذا يدعي صحة قوله ودليله روايات، والآخر يجيبه ودليله روايات كذلك ! وكثرة الرواياتوالأحاديث واختلافها التام وتناقضها سبب كثرة الفرق واختلاف الناس.

ولو علقت على مسألة هل الطفل مشمول بالسؤال والعذاب، لقلت : أن هذا قول مخالف لبديهيات أصول الدين، فالتكليف مناطه العقل أولاً ثم البلوغ، والطفل لم يعقل ولم يبلغ بعد، فكيف يقع في هكذا امتحان ؟!!.

وقد بالغ من يؤمن بعذاب القبر، في الحديث عن القبروالبرزخ إلى درجة اعتبارها حياة حقيقية مشابهة لحياة الأحياء !. فبعضهم يؤمن بأن الميت

---

58 - صحيح البخاري (1372).

59 - الروح، ص: 200. أهوال القبور، ص: 15.

60 - التمهيد 22/252.

حي في قبره !!. ويكفيك هذا التناقض الصارخ في الجمع بين الموت والحياة في آن واحد.

ويقول الذي يؤمن بأن الميت حي في قبره بأن الروح تعود إلى الجسد فيقعد في قبره !! مستدلين على ذلك بحديث في البخاري، وهذا التطرف قادهم لتصرفات وأقوال غريبة عند القبور، مثل مسألة التلقين وما تبع ذلك من أمور منكرة لا يقبلها عقل ولا سمع ولا حس.

أما ما ذكره بعض من كتب حول هذا الموضوع، فلا يعتبر سوى صنع وزيادة من وحي خيالهم، ومن وحي بعض السابقين، فبعضهم أراد إثبات هذه العقيدة بالاستناد لأقوال وأحلام ومنامات .. بعض المخرفين، وقد تفطن العسقلاني لهذا الأمر فقال «فيجب أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير». [61]

ومن عجيب أقوالهم الحديثة حول هذه العقيدة المزعومة، رد لشيخ أزهري - خالد الجندي - حول مسألة إنكار عذاب القبر، وبأسلوب مقيت لا يصدر من شخص عاقل، يقول بأنه تعب من كثرة الأشخاص الذين ينكرون هذه الخرافة، وبدل أن يناقش بالأدلة والبراهين العلمية والعقلية، لم يجد الحل إلا في اللجوء لكلام يشبه - مجرد شبه بعيد - رهان باسكال. فقال أن هنالك 3 احتمالات وهي :

- يجب أن يكون عذاب القبر.
- يستحيل وجود عذاب القبر.
- يجوز أن يكون أو لا يكون.

ولم يقدم دليلا واحدا، سواء من المعقول أو المسموع، ولجأ إلى ما يسميه «قانون الاحتياط». ثم بدأ يسفسط بعدها بكلام غير علمي البتة، وانطلق في كلامه من مرجعية مؤمنة بوجوب وجود عذاب القبر، ثم بدأ في

61 - فتح الباري 3/284.

الدعوة إلى أنه يجب أن نسلك مسلك الاحتياط، فالاحتياط واجب حسب وجهة نظره.

قلت : هذه سفسطة لا تجوز في العقائد، وقد استدرك - هو - ذلك حين تحدث عن الإيمان بالله عزوجل، لكنه لم يربط نفس المفهوم الذي يدعو إليه مع العقيدة المزعومة، فبمفهومه هذا يصبح اللاأدري والمؤمن متساويان لا فرق بينهما. فلا يمكن أن نقول للناس آمنوا بكذا وكذا من باب الاحتياط فقط، بل يجب في العقيدة اليقين لا الظن والاحتمال، كما يزعم هذا الشيخ الأزهري !.

والحق الذي لا مرية فيه أن هذه المسألة من مسائل العقائد،والعقائد تحتاج للتصديق الجازم، لا للظن والاحتمالات كما يقول هؤلاء، فالعقائد لا تؤخذ إلا عن يقين وبرهان قطعيا لثبوت قطعي الدلالة.

إن استفاضة التناقضات حول قضية عذاب القبركفيلببطللنهاوردّها، فهذه التناقضات والاختلافات تؤكد لنا أن الأمر خرافة، تشكلت بعيداً عن النبي والدين، فيستحيل أن يصدرهذا التناقض من النبي عليه الصلاة والسلام. ولا أقول إلا ما قال الله عزوجل**{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}**.

سخافة الأحاديث والروايات :

لا هم لشيخ القبور إلا ذكر خرافة «عذاب القبر» والتشهير بها، وكأنها الأصل الذي يبني عليه المسلم عقيدته، وهي لا أصل ولا فرع،بل إنها تتعارض مع مبادئ الإسلام وروح القرآن الكريم.

إن المتأمل في أجوبة المؤمن بعذاب القبرعلى منكره، يلاحظ التكلف والتعسف الذي لا يقبله عقل أوسمع.

إن القبروما به وما فيه ... تعتبرمن الأمور الحسية الدنيوية المشاهدة، لا الغيبية كما يدعي البعض.

إن الروايات تقول، لولا اليهودية العجوز، ما عرف النبي والمسلمين هذه العقيدة، وهذا نسف للنبوة والرسالة، وكأن النبي كان ينتظر أن يأتي اليهود إليه بعقائد لم يوحيها له رب العزة، وقد خاب من سلك هذا الطريق.

يستند الحشوية في هذه الخرافة للمنامات، شأنها شأن جميع خرافاتهم، نذكر منها ما ذكره ابن أبي الدنيا : « ... حدثني حجاج الأسود ونحن في جنازة في الجبان، قال : رأيت في المنام كأني دخلت المقابر، وإذا أنا بأهل القبور نيام في قبورهم وقد تشققت عنهم الأرض، فمنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على القباطي، ومنهم النائم على السندس والإستبرق ... ومنهم حائل اللون. قال : فبكيت عندما رأيت منهم، ثم قلت في منامي : ربي لو شئت سويت بينهم في الكرامة، فنادى مناد من بين تلك القبور : يا حجاج ! هذه منازل الأعمال. قال فاستيقظت من كلمته فزعا». [62]

ومن الأحاديث التي يعتمدون عليها حول هذا الموضوع، حديث «لو أن غربا من جهنم جعل وسط الأرض لآذى نتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شررة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب» [63]

يقولون أن بعض عذاب جهنم ينزل لقبر الميت، ويصدقون هذا الحديث السابق، ورغم ذلك فإننا لم نهلك ! ولم نجد نتن ريحه وشدة حره !.

ويوجد حديث مثل هذا يقول «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه ؟». [64]

إن في الحديث دلالة على عدم نزول العذاب لدار الدنيا، لأنه سيفسدها من شدته، لكن الآخر يقول أن هذا العذاب ينزل إلى القبور، ومع ذلك لم تفسد معيشتنا !!.

إن الروايات تصور لنا أن عذاب القبر أشد من عذاب الآخرة، والناس تخشاه أكثر من خشية عذاب الآخرة .. ورغم معارضة هذا لآيات القرآن

62 - القبور، ص: 47-48.

63 - المعجم الأوسط (3806).

64 - رواه الترمذي (2585) وصححه الألباني في صحيح الجامع (5126).

الحكيم، لكن هؤلاء يردون الآيات من أجل الروايات. ومثال على ذلك رواية أن عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فيقال له تذكر الجنة والنار ولا تبكي ! وتبكي من هذا ؟ فيقول لهم إن النبي قال : ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه». [65]

إن هذه الروايات ترسخ وتثبت تسخيف وتوهين عذاب الآخرة، مقارنة بعذاب القبر المزعوم. فبرواية موضوعة يصبح القبر أشد من النار، بل وتخشاه الأنفس وتذرف له الأعين حتى تبل اللحى .. ولا تبكي الأعين لذكر الجنة والنار ! فانظر لهذا الاستخفاف والاستهتار وتفكر.

لقد أدى الهوس بهذا الاعتقاد المبتدع - عذاب القبر - الناس لعدم خوفهم وخشيتهم من عذاب الآخرة أكثر من خشيتهم منه، فأصبح الفرد يخشى عذاب القبر بشدة، وهذا راجع لعدد من الأسباب، أهمها: الرويات الواهية بشأنه، خصوصاً تلك التي تصور لنا عذاباً خرافياً واقعاً لا محالة - حسب زعمهم - في تلك الحفرة الصغيرة (القبر). وقد تعرض لهذا الأمر الغزالي في رسالته »**رسالة الآخرة**«وعنه نقل القرطبي في **التذكرة**عندما تعرضللمسألة. وبرر الغزالي ذلك، الخشية من عذاب القبر أكثر من الخشية من عذاب الآخرة، وقال أن سببه هو الوحدة بالعذاب، عكس الآخرة حيث يأنس المرء بعذاب غيره معه !!. قلت : هذا قول مردود واضح البطلان، وتبرير سخيف لا يقبله عاقل.

ومن الروايات العجيبة، رواية أن عمر بن الخطاب هو الذي يسأل «منكر ونكير» من ربكما ؟ ومن نبيكما ؟ وما دينكما ؟! فيقولان واعجباه !! ما ندري أنحن أرسلنا إليك أم أنت أرسلت لنا ؟!. [66]

وهذا من الغلو الذي لا يقبله عقل ولا سمع، وقد رأينا شيخا يروي هذه القصة للناس، فضحك وقال اقبلوها كما جاءت، وهو من الطائفة الحشوية، ورغم ذلك استنكر هذه الرواية العجيبة.

---

65 - سنن الترمذي (2585). سنن ابن ماجه (4267).

66 - انظر الاعتقاد والاثبات للبيهقي والحجة لقوام السنة وغيرهم.

وارتباطا بالموضوع، فقد اختلفوا حول «هل يسأل النبي في القبر؟». فمنهم من قال يسأل ومنهم من نفى، دون تقديم أدلة.[67] وإنه لمن العبث أن يسأل النبي من هو نبيه !.

إننا أمام معضلة حقيقية، فمن الواضح أننا لم نقدر الله عزوجل حق قدره **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}**، حتى استخفينا بكلامه أولا، ثم بعذابه ووعيده ... لدرجة أصبحنا نرى معها ما يندى له الجبين، فتارة نجد التسخيف بعذاب الآخرة، وتارة أخرى نجد أن لله عزوجل قَدَم ! وحاشاه تبارك وتعالى، يضعها في النار !.[68]

يخبرنا أبو هريرة عن النبي يقول : «حضر ملك الموترجلا يموت، فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا، ففك لحييه، فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول : لا إله إلا الله».[69]

ومن القصص الخرافية التي ذكرها هؤلاء، خروج رجل من بني إسرائيل من قبره ينفض رأسه، بين عينيه أثر السجود !!.[70]

وكذلك قول ابن تيمية «وقد يرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشى ويخرج من قبره».[71]

ومن أراد الاطلاع أكثر على خرافات الحشوية فليطالع كتب **ابن أبي الدنيا**، خصوصا كتابه «**من عاش بعد الموت**» فهو مليء بالسخافة والخرافة.

---

67 - فتح الباري 3/239. مجموع الفتاوى 4/257.

68 - صحيح البخاري (6661). صحيح مسلم (2848).

69 - المحتضرين، ص: 22.

70 - عذاب القبر، ص: 17.

71 - مجموع الفتاوى 5/526.

مانعات عذاب القبر ومخففاته :

إن العنوان لوحده يثير الريبة، ويدل على التناقض والتهافت الموجود في هذه العقيدة المخترعة، كيف لا ؟! ولعذاب القبر أسباب تمنعهوتنجي منه وتخففه، وهناك أحاديث تؤكد أنه لا أحد ناجٍ من ضمته ! وهل العذاب أصلاً يُخفف ؟!.

لقد جعل ابن أبي شيبة - في مصنفه -لمخففات عذاب القبر بابا في كتاب الجنائز، لا يعني هذا أنه انفرد بذلك، بل جل المحدثين اتبعوا نفس الطريقة، وساروا على نفس المنوال.

وضع الجريد على القبور : أول حديث ذكره ابن أبي شيبة هو : «... مر رسول الله على قبر فوقف عليه فقال ايتوني بجريدتين فجعل أحدهما عند رأسه والأخرى عند رجليه فقيل له يا رسول الله أينفعه ذلك فقال لعله يخفف عنه بعض عذاب القبر ما بقيت فيه ندوة» فجعل التخفيف مقيدا بمدة رطوبة الجريد ! فانظر لهذا العبث وتفكر.

ويصدق بعض الناس هذه الأحاديث رغم مخالفتها لبديهيات العقول، واشتمالها على سخافات يصان عنها العقلاء. فهل من المعقول أن الجريد يخفف العذاب الإلهي ؟ وهل من البديهي القول «ما بقيت فيه ندوة» أي قبل أن يجف ؟.

وفي بعض البلدان يضع الناس الجريد على القبور وإن كان جافا، فهل هؤلاء يخفف عنهم العذاب أم لا ؟!.

إن الأحاديث عديدة في هذا الباب ولا يسع المقام لذكرها، لذلك فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع للمصادر المذكورة.

قراءة سورة الملك : عن ابن عباس قال : «ضرب بعض أصحاب النبي خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي فقال يا رسول الله إني ضربت

خبائي على قبروأنا لا أحتسب أنه قبرفإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها، فقال رسول الله هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر». [72]

وفي حديث آخر، ما رواه ابن مسعود عن النبي قال : «إن في القرآن لسورة فيها ثلاثون آية يقرؤها أحدكم، فإذا مات ودخل القبر، فإذا جاءه الملك من ناحية رأسه حالت بينه وبينه، فإذا جاءه من ناحية رجليه حالت بينه وبينه، فإن جاءه من ناحية جنبه حالت بينه وبينه». قال ابن مسعود هي «تبارك الذي بيده الملك».

هذه الرواية تنفي وجود «منكرونكير» والثعبان الأقرع» وتثبت مجيء «ملك» ماواحد فقط، وهذا تناقض، دون تحديد صفاته أوتحديد اسمه كما في الأحاديث الأخرى، وكذلك تنفي سؤال»الملك» لجميع الأموات. والظاهر من الرواية أن «الملك» لا يأتي ليسأل، إنما يأتي ليعذب وسورة الملك تمنعه !.

وقد أورد بعض المفسرين حديثاً مفاده أن سورة الكهف هي كذلك منجية من فتنة القبر، والحديث ضعيف بل ولا سند له، فكيف تقوم به الحجة ؟ ولا استغراب في هذا، فأصل هذه العقيدة موضوع ولا أصل له، فمن باب أولى أن كل ما يتحدث عنها موضوع ولا أصل له.

وقد اختلف حول مسألة فضائل القرآن، والذي عليه أغلب المحققين أن ذلك مفترى وموضوع ونقلالفيروزآبادي إجماع المحدثين على ذلك في رسالته في بيان ما لم يثبت فيه حديث من الأبواب، وذكرذلك ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وأجاب وأجاد، ومن أراد التفصيل في المسألة فليراجع المصادرالتي ذكرنا.

الموت يوم الجمعة :يستند أصحاب هذه العقيدة المزعومة للحديث مرة تلو الأخرى، دون كلل أوملل، ولا نجدهم ولولمرة واحدة فقط يستندون للقرآن الكريم للاستدلال على ما يزعمون !.

---

72 - سنن الترمذي 5/164.

ومن عجيب ما قالوا أن الموت يوم الجمعة يقي من فتنة القبر !! وهذا لعمري كلام لا يخرج من مشكاة عاقل يحترم عقله، فما بالك بالرسول النبي عليه الصلاة والسلام.

الموت بمرض البطن : ومن بين جميع الأمراض التي قد تؤدي لموت الإنسان، فإن الموت بداء البطن هو الوحيد الذي ينجيك من عذاب القبر !. فالحديث المنسوب للنبي يقول «من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»، فلا ينجينك من ذاك العذاب عمل صالح أو إسلام أو إيمان ... بل داء البطن الذي يتمناه جل المسلمين اليوم، وسابقاً.

وجعل بعضهم الميت بالطاعون في مرتبة المبطون، أي لا يُسأل في قبره، وكأن مسألة المبطون قطعية لا شك فيها، فأصبحت أساساً يُقاس عليه، رغم قولهم أن الأمور الغيبية لا قياس فيها، وهذا من تناقضاتهم الكثيرة، أما الأحاديث التي تذكر المبطون وأنه لا يُسأل ولا يُفتن ... فلا تصح البتة كي تقوم بها الحجة أصلاً، وضعفها غير واحد، على سبيل المثال ابن القيم في كتابه الروح.

وقد ذكرنا سابقاً رواية تنفي استثناء أحد من ضمة القبر «إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ»، لكن رواية مرض البطن تستثني هؤلاء المرضى، فلا نعلم من نصدق ؟! ولا ندري أهذا دين وعقيدة ؟!.

إن الأمثلة على سخافة هذه الأقوال كثيرة، وربما تحتاج لمجلدات، وما ذكرناه هنا، ما هو إلا على سبيل المثال لا الحصر. فالروايات حول هذه المسرحية لا حصر لها، لدرجة تجعلك لا تدري أتضحك أم تبكي لحال الأمة ؟.

هذه الأحاديث وغيرها لا تثبت ولا أصل لبعضها، فإما إنها مُنكرة أو ضعيفة متناً وسنداً، ولا يصح في هذا الباب حديث أصلاً !.

إن جميع أدلتهم باطلة ومعلولة، ومن المؤسف أن تنسب هذه الأباطيل للنبي عليه الصلاة والسلام، لذلك فإنني أدعو كل شخص له غيرة على

رسوله ودينه ... إلى أن يتفكر فيما ينسب للنبي من زور وبهتان، قبل أن يعتقد بذلك وبصحته.

ونطرح هنا بعض الأسئلة :

• لماذا هذه الخرافة تشبه - وبدرجة كبيرة - خرافة المصريين القدامى ؟

• هل من المعقول أن يؤكد الله عزوجل في كتابه الكريم أن العذاب بعد الموت في الآخرة وبعد الحساب، ثم نصدق الروايات التي تقول أن ذلك حاصل في القبور أولاً ؟.

• وهل من المعقول أن يعذب الله عزوجل شخصا ما زال عداد حسناته في تزايد (صدقة جارية، دعاء ولد صالح ...) حسب قولهم ؟.

• وهل من العدل أن يعذب شخص منذ عهد نوح عليه الصلاة والسلام، وشخص آخر مات قبيل قيام الساعة بلحظات ؟!.

من ينكر عذاب القبر :

إن المسألة فيها خلاف بين عموم أهل السنة والجماعة، فما بالك بباقي الفرق المسلمة، ولا ينكر هذا الخلاف إلا جاحد أو جاهل. ولا يجوز المبالغة في الجزم بالإجماع دون البحث والنظر، والعلم بذلك - الخلاف - طريقه النظر والاستدلال، ومن الواجب علينا أن نبين للناس ما الصواب.

إن قول **ابن تيمية** «ولا خلاف بين أهل السنة» حول عذاب القبر تدليس كما ذكرنا، ويكثر ابن تيمية من قول «بإجماع المسلمين» أو «لا خلاف» أو «اتفق أهل السنة» ... وهذا وجه من وجوه غلوه وتدليسه، وعند التحقيق يظهر خلاف ما ذكر ابن تيمية، ويتضح أن إجماعاته المزعومة ما هي إلا آراء من يوافقه فقط، ولا يعتبر بآراء المخالف إلا فيما ندر، خصوصا في الفروع وفروع الفروع وما دون ذلك، وحين يطلق ابن تيمية الإجماع فمراده بالضبط إجماع المنهج الأموي !.

وقد شنع ابن تيمية وابن القيم على الإمام ابن حزم وكل من قال برأيه، وقد دلس ابن تيمية في هذا الأمر كعادته ! وقال أن العذاب واقع على الروح والبدن باتفاق أهل السنة والجماعة، وهذا تدليس صريح إذ في الأمر خلاف كما يعلم كل طالب علم، فقد قال ابن أبي العز «لكن اختلفوا في أنه هل تعاد الروح إليه أم لا، والمنقول عن الإمام أبي حنيفة التوقف».[73]

قلت : **أبو الحسن الأشعري** فصل في كتابه «مقالات الإسلاميين» آراء المسلمين عموما، وأهل السنة والجماعة خصوصا، في مسألة عذاب القبر، ولم يدع الإجماع كما يزعم **ابن تيمية.** ولا ندري هل هو جهل من **الحراني** أم تدليس ؟!.

وكل من يدعي الإجماع كابن تيمية أو غيره فلا صحة لقوله، لأن الإجماع ههنا لا يصح البتة، خصوصاً أن هذه المسائل لا يقطع فيها بإجماع، لأن النزاع فيها قديم.

فالأشعري قال : «واختلفوا في عذاب القبر، فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من اثبته وهم أكثر- وهنا الإنصاف من الأشعري على عكس غيره فلم يقل كل أهل الإسلام بل أكثرهم وهذا ليس بدليل عندنا - أهل الإسلام، ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها، فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور». [74]

وهذا ما ذهب إليه ابن حزم، ابن مسرة[75]ابن هبيرة، ابن عقيل وابن

73 - شرح العقيدة الطحاوية، ص: 154.

74 - مقالات الإسلاميين، ص: 430.

75 - (واسم هذا الفيلسوف له قصة عجيبة في كتب الفقهاء والمحدثين، فقد وقع خطأ في كتاب الروح لابن القيم ويوجد الاسم هكذا «ابن مرة» وهو تصحيف وفي مجموع الفتاوى ذُكر باسم «ابن ميسرة». والعجيب في الأمر أن الغالبية من الناقلين عن هؤلاء لم يتحققوا من الاسم وصاحبه ونقلوه بالخطأ تقليداً، ومن تحقق منهم كبكر أبو زيد قال أن ابن مرة القصد منه هو «إبليس» وابن القيم يصف ابن حزم به !! وهذا خطأ عظيم لا يصح عن ابن تيمية وابن القيم. فكنية إبليس هي «أبو مرة» ولا نتفق مع هذه القصص العجيبة والتسميات الغريبة).

الجوزي، فيما أعلم، واستدلوا ب : أن العذاب والنعيم لو كان على الروح والجسد للزم الإنسان أن يموت ثلاث مرات ويحيا ثلاث مرات، وهذا باطل فإن القرآن دل على أنها موتتان وحياتان. [76]

بل إن تلميذ ابن تيمية - ابن القيم- له كتاب «**الروح**» ذكر فيه أقوال جل علماء السنة والجماعة واختلافهم حول هذه العقيدة (أصولها وفروعها)، ولا نعلم كيف يزعم ابن تيمية اتفاق أهل السنة والجماعة والحق خلاف ذلك !.

ومما نقله ابن القيمأن المفسر الطبري وابن كرام وغيرهما قالوا أن المعذب هو البدن فقط، ويخلق الله فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويتلذذ ويتألم. ويكون العذاب للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين، ويدوم على الكافر والمنافق وينقطع عمن خفت جرائمهم من عصاة المؤمنين، فإنهم يعذبون بحسبها وقد يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو غير ذلك، وكل من لا يُسأل في قبره لا يعذب فيه أيضاً.

والمعتزلة لا خلاف بينهم في إنكار عذاب القبر الحسي، لكنهم اختلفوا في إثبات العذاب البرزخي، وهو ما يقال عنه عذاب القبر وهذا اشتراك لفظي فقط مع من يقول بعذاب القبر الحسي، وإنكاره. وقلة فقط هي من أنكرت العذاب جملة وتفصيلا، وهم : **أبو علي الجبائي، بشر المريسي، يحيى بن كامل وضرار وأصحاب واصل ...**

وبعض هؤلاء كضرار والمريسي يحسبون تارة من المعتزلة وتارة أخرى من المرجئة والمجبرة. ويستنكر البعض نسبة هذه المقالات للمعتزلة، ودليله في ذلك عدم اعتبار ضرار بن عمرو معتزلياً، والصواب أنه يوجد من يشارك ضراراً قوله هذا من المعتزلة، خصوصاً من المتأخرين، فيبطل استدلال صاحب الاستنكار.ولا نهتم هنا لعلاقتهم بالمعتزلة بشكل أكبر، فكل ما يعنينا هي مسألة عذاب القبر.

---

76 - الفصل 177-4/178. الروح، ص: 215. أهوال القبور، ص: 106.

وقد يستغرب البعض نسبة إنكار عذاب القبر للجبائي، خصوصاً وأن جل المعتزلة يحكون عنه الإثبات ! لكن بعد أن حقق حسن الأنصاري وولفرد مادلنج مخطوطة له عن علم المقالات، تبين أن الجبائي من الذين ينفون عذاب القبر وردّ على من يثبته.

أما ابن أبي الحديد المعتزلي، فإنه نقل كلام القاضي عبد الجبار : «واعلم أن لقاضي القضاة في كتاب طبقات المعتزلة في باب القبر وسؤال منكر ونكير؛ كلاما أنا أورد هاهنا بعضه، قال رحمه الله تعالى :

إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو، ولما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء، ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزلة، وليس الأمر كذلك؛ بل المعتزلة رجلان : أحدهما يجوز عذاب القبر، ولا يقطع به؛ وهم الأقلون، والآخر يقطع على ذلك ...». ثم يعقب ابن أبي الحديد «هكذا قال قاضي القضاة، والذي أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضي القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين». [77]

وكما ذكرنا سابقاً، فقد أنكر بشر المريسي ويحيى بن كامل وضرار ... عذاب القبر، وبعض المعتزلة قالوا أنه واقع بين النفختين كالعلاف وبشر بن المعتمر ... وزعم بعض مشايخ المعتزلة وغيرهم أن الأخبار المروية حول عذاب القبر ونعيمه ومنكر ونكير ... هي أخبار قد تبلغ حد التواتر، وهذا كلام لا يصح البتة. أما المعتزلة المعاصرة فهم بين من يثبته على نهج بعض السابقين، ومنهم من يخالفهم وينكره كشيخ المعتزلة الجدد الشيخ أمين نايف ذياب، فقد كان يرى أن أصل فكرة عذاب القبر هو فكر يهودي لا علاقة له بالإسلام ولا بمحمد عليه الصلاة والسلام، قلت : هذا حق وصواب.

وننقل كلامه بالضبط هنا : »أن عذاب القبر فكر يهودي ولا علاقة له بالإسلام، وقال: لا بد من الاعتراف بأنّ فكر أهل الحديث ، يجعل عذاب

77 - شرح نهج البلاغة 6/274.

القبر معتقداً يجب الإيمان به، وأنه واقع لا محالة، وأنه يقع في الحفرة التي اسمها القبر، وأنه وقوعٌ حسي، يجعلون كل ذلك جزءاً من اعتقادهم اعتماداً على أحاديث مرفوعة إلى الرسول صلوات الله عليه، ويرون صحة هذا الرفع، ويأتون بالآيات وهي آيات لم تصرح بعذاب القبر أبداً، بل لم تلمح إليه، ويديرون تفسيرها كما يريدون، ويجعلونها تعضد المضامين التي ذكرتها الأحاديث في عذاب القبر».

وعند الإخوة الشيعة فالأمر محير ويحتاج لتفصيل وتبيان، فعندهم الرواية تقول «وقد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام أنهم قالوا: ليس يعذب في القبر كل ميت، وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر محضا، ولا ينعم كل ماض لسبيله، وإنما ينعم منهم من محض الايمان محضا، فأما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم، وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه، فأما عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإن الخبر أيضا قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جناته ينعمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف، وأمر به إلى جنة الخلد، فلا يزال منعما ببقاء الله عزوجل غير أن جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، وتحسن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب، والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب به، ونار يعذب بها حتى الساعة، ثم أنشئ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثم يعذب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركب أيضا جسده تركيبا لا يفنى معه، وقد قال الله عزوجل اسمه: « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب "وقال في قصة الشهداء: « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون « فدل على أن العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها، والخبر وارد بأنه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح ههنا عبارة

عن الفعال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة التي يصح معها العلم والقدرة لأن هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصح الإعادة فيه فهذا ما عول عليه بالنقل وجاء به الخبر على ما بيناه». [78]

من الواضح أنهم ينفون العذاب الحسي في القبور، وهم في هذا كمذهب المعتزلة وبعض الأشاعرة وابن حزم ... لكنهم يسمون ذلك العذاب «عذاب القبر» وإن لم يقع في القبر حقيقة. وهذا ما يجعل البعض في التباس، فيظن أن من قال بعذاب القبر يعني العذاب الحسي الذي يذهب إليه الحشوية ومن وافقهم، لكن في الحقيقة هم ينكرون ذلك جملةً وتفصيلاً، والروايةدليل على ذلك.

أما الإباضية فإنهم غير متفقين حول عذاب القبر، فمنهم من أنكره ومنهم من ثبته، يقول النفوسي حول ذلك :

وأما عذاب القبر ثبت جابر وضعفه بعض الأئمة بالوهن
وأما ورود الناس للنار إنه ورود يقين العلم واللمح بالعين

ويقول **الوارجلاني الإباضي**: «ومسألة عذاب القبر ليست من مسائل الديانات، فمن جهلها سلم، ومن علمها غنم». [79]

قلت : إن اعتراف **الوارجلاني**بأن مسألة عذاب القبر ليست من الديانات، لَهُوَ عين اليقين والحق الذي نقوله وندين به، وهذا لُب كتابنا، وهو أن المسألة ليست من الديانات والعقائد كما يزعم غيرنا.

يقول **الخليلي** «وإني واثق أن أمة الإسلام لا يلأم شملها ويرأب صدعها كالرجوع إلى القرآن لاستلهام الحقائق الغيبية منه، من أجل هذا أناشدها أن تقرأ كتاب الله بتأمل وتدبر متجردة من كل ما يلبس عليها فهمه، فإن الأمة لم تصب بشيء كما أصيبت بعدم تدبر القرآن». [80]

78 - بحار الأنوار 272-6/273.

79 - الدليل والبرهان 3/332.

80 - برهان الحق 1/39.

وممن أنكر عذاب القبر في العصر الحديث، الشيخ المصري الشهير **محمد متولي الشعراوي**، قال : « ... إذن فلا يوجد عذاب بالقبر ولكن عرض ورؤية فقط لموقف الإنسان من عذاب أونعيم ...». [81]

وقال مثل هذا في كتيب له **«الدار الآخرة»** أصدرته **«أخبار اليوم»**وفيه «أنه لا يوجد زمن بالقبر» وهذا ما نقوله ونستدل عليه بآيات القرآن الكريم.

أما تفصيل كلامه فقد جاء في مقطع فيديو يقول فيه بالحرف : «القبر ليس فيه عذاب لأنه لا عذاب إلا بعد حساب والحساب حيبقى في الآخرة إنما القبر بس شروة الحياة منعت من النفس وشف نفسه مجندل في التراب فيعرض عليه عذابه في الآخرة ان كان صالحا يعرض عليه العذاب وان كان مؤمنا يعرض عليه الثواب يقوم طول ما هو شايف الحاجة الحلوة يكون في سرور وشايف الحاجة إلي بتنظره في الآخرة يبقى فيه عذاب يبقى عذاب القبر عرض لمنازل الآخرة ولذلك اقرأ قول الله سبحانه وتعالى في قوم فرعون :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ طب ..يعرضون عليها الزمن بالنسبة للإنسان يبقى ايه حياته , مماته , بعثه هما في الحياة ما عرضوش على النار آل فرعون ما عرضوش على النار خلاص اذن لم يبقى سوى زمنين اثنين زمان الموت إلي هو البرزخ وزمان الآخرة اما زمان البرزخ : النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ولما زمان الآخرة وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ يبقى هنا عرض وهنا إدخال يبقى ادي الفرق بين الاثنين والإنسان ساعة يُعرض عليه يعني مثلا : رئيس الجمهورية ولا الملك عزمنا وبعدين دخلنا لقينا ايه موائد جميله يبقى ديه الي اناكله ونفضل مبسوطين لساعة ما نروح نأكل طيب واذا كان الواد دخل القسم في جريمة ولا ابتاع وشاف الفلكه و الكرباج محطوط والسلسلة ولسا ما عملوش فيه حاجه يبقى معروضة عليه اذن في عذاب».[82]

81 - مجلة حواء، عدد: 132، ص: 31.

82 - (هل يوجد عذاب في القبر في رأي الشعراوي youtu.be/dMOZQ5LwKA0).

ورب سائل يسأل، هل منكر «عذاب القبر» كافر ؟.

فإن قيل : لا.

قلت : هذا دليل على أنه ليس بعقيدة كما تزعمون، وهو باطل.

وإن قيل : نعم.

قلت : يجب تكفيركل من سبق ذكره ممن ينكرعذاب القبر، ولا أعلم أحدا يكفر منكرعذاب القبر، سوى فرقة «الوهابية» بل ويكفرون من أنكر الاحتجاج بالأخبار الآحاد !. ومذكور ذلك في سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، لكن رغم ذلك لا يكفرون ابن حزم ومن سار على نهجه حول هذه المسألة. وهذا التخبط والتناقض دليل على بطلان كلامهم.

أما عند السابقين، فلا إنكار حول هذه المسائل، فنجد الغزالي يقول»الشرط الرابع : أن يكون كونه منكرا معلوما بغيراجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة، فليس للحنفي أن ينكرعلى الشافعي أكله الضبوالضبع ومتروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكرعلى الحنفي تناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه في دارأخذها بشفعة الجوار، إلى غيرذلك من مجاري الاجتهاد». [83]

أما ابن تيمية فيقول «إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخرفلا إنكار عليه». [84]

وبقي التنبيه على النصفة مع مجتهدي فرق الإسلام، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل والاجتهاد، فإنه لا تضليل لمن أصاره اجتهاده إلى التأويل. [85]

83 - إحياء علوم الدين، شروط الإنكار.

84 - مجموع الفتاوى 30/80.

85 - تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص: 103.

قلت :وقد بالغ البعض في التعصّب لعذاب القبر، فجزم بتواتره وهو على خلاف ذلك، ثم جزم بتواتر منكر ونكير والصواب خلاف ذلك، ثم أفتى - هذا المتعصب - بتكفير منكر عذاب القبر وهذا غلو، لأن هذه قضية لم ترد في كتاب الله البتة.

أخيرا، نطرح سؤالاً نرجو أن نجد له إجابة عند من يؤمن بعذاب القبر، هل «**عذاب القبر**» عقيدة غيبية ؟

فإن كانت عقيدة لها أصل، فلا يجب أن يقع فيها خلاف، ووجود الخلاف فيها، بين جميع المسلمين، دليل على بطلانها. فمن أنكر عقيدة ما، فليس بمسلم أصلاً.

وإن قال أحدهم لا تلازم بين الخلاف وحقيقة وجود هذا المعتقد، قلنا له صحيح لكن بشرط أن تذكر لنا الأصل أولاً، ونعني بالأصل هنا النص القرآني الذي يشير لعذاب القبر، بالدلالة القطعية الظاهرة التي لا اختلاف فيها البتة، وهذا غير موجود لذلك تحدثنا عن الأمر من باب عدم وجود الدليل ابتداءً.

ورغم أنهم يقولون أن «عذاب القبر» عقيدة يجب الإيمان بها، لكننا لم نجد هذه العقيدة عند جميع الرسل والأنبياء، وجميعنا نعلم أن المرسلين قد جاؤوا بعقيدة كاملة، منها الإيمان بالله عز وجل وملائكته ورسله ... إلى الإيمان بالغيب، وهذه دعوة كل الرسل على مر التاريخ، فأين عذاب القبر ؟! أم هو مستحدث ؟.

والرسل جميعهم بشروا وأنذروا أممهم، وكل واحد منهم قال لأمته : إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، ومعلوم أن هذا اليوم هو يوم القيامة والحساب، لا يوم الموت والدفن في القبور كما يزعم هؤلاء. لذلك فمن آمن وصدق، فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن كذّب وأعرض واستكبر، فقد خسر خسراناً مبيناً، ومن طغى من هؤلاء كفرعون فيدركه العذاب في الدنيا والآخرة، ولا عذاب بينهما البتة، والناظر في القرآن الكريم يدرك ذلك بدون عناد أو مكابرة.

ونختم كلامنا هنا، بقول مهم أشار إليه **حسن الترابي** «يقولون لي القبر روضة من رياض الجنة، قلت لهم احفروا القبر ستجدون فيها عظاماً ولن تجدوا حوراً عين ولا أنهاراً جارية ولا فواكه ...أقول لهم هذا جسد، الروح ذهبت إلى ربها ويوم القيامة ستبعثون!!».

مغالطات منطقية :

يركن الطرف الآخر، من حيث يشعر أو لا يشعر، في حواره مع مخالفه إلى مغالطات عديدة، متعلقة بالمنطق والحوار والجدال ... وهذا يجعل الحوار لا محالة حواراً عقيماً، لا فائدة منه البتة.

ومن المغالطات التي يقوم بها المخالف، تقريره للشيء قبل البحث والاستدلال، فيجعل موضوع اما - كعذاب القبر - حقيقة ثابتة مسبقاً ولا شك في ذلك،ثم يبحث عن أدلة أوقرائن كي يعطيها الشرعية والصحة،وهذا باطل مردود عند أهل العقول والمنطق.

فالأصل أن ننطلق من الأدلة ثم نخلص للنتيجة، لا العكس كما يفعل الطرف الآخر. لذلك عندما عرضنا أدلتهم النقلية وجدنا أنجلها - إن لمتكنك لها - لا تصلح للاستدلال أصلاً، ولا علاقة لها بالموضوع من الأساس، ولا وجه فيها يدل على الموضوع المطروح للنقاش، فيصبح كلامهم حشواً لا فائدة منه.

فما أكثر الكتب والرسائل والأبحاث التي تناقش مسألة ما وتدرسها، لكن ما أقل ذلك الباحث المحقق المتجرد، الذي يدرس المسألة بدون نتيجة وفرضية مسبقة وبكل حيادية، فالحيادية تكاد تكون منقرضة أو نادرة.

ومن مغالطاتهم المنطقية الاستدلال الدائري، والغالب أنه عن دون قصد وعلم، لعدم اشتغال القوم بعلم المنطق والفلسفة باستثناء بعض الشيعة. وهؤلاء رغم دراستهم للعقليات فهم لا يطبقونها في النقد الذاتي

لما يؤمنون به، إلا من رحم ربك، كالسيد **كمال الحيدري**، ومن سار على نهجه السليم. وعند أهل السنة خصوصاً الأشاعرة تجد **عدنان إبراهيم** ومن يوافق منهجه القويم.

فتجد من يتحدث عن المسألة يستدل بالنتيجة التي قررها مسبقاً، والصواب الانطلاق من الأدلة ثم نرى أين ستقودنا وما النتيجة، أما تقرير النتيجة من الأول ثم البحث عن أدلة للاستدلال عليها، فهذا سيقود لا محالة لتخبط لا يقرّه العقل إطلاقاً، وسيجرهم لمغالطات منطقية أخرى كالانحياز التوكيدي والمصادرة على المطلوب والاستدلال بما هو محل نزاع ... كما رأينا، بل وسيقودهم لتجاوز أمر هو من المسلمات في الفقه وأصوله ألا وهو تحرير محل النزاع، فكيف سيصلون لنتيجة منطقية وهم لم يحرروا محل النزاع أصلاً ؟وتقريرهم - قبل البحث والاستدلال - أن عذاب القبر عقيدة صحيحة وواقع لا محالة، مغالطة لا يقع فيها عاقل، لأنهم جعلوا الدعوى - عذاب القبر -هي الدليل ومحل الاحتجاج !! وهذا لا يصح منطقياً.

ومن مغالطاتهم كذلك معارضتهم للقطعي بما هو ظني، وهذا لا يجوز البتة، لا في المنطق ولا في الفقه ولا في المناظرة ... فمعلوم أن قاعدة اليقين لا يزول بالشك، قاعدة فقهية مهمة وتندرج تحتها كثير من المسائل، وهي قاعدة منطقية، وعنها قال شهاب الدين القرافي في الفروق : أن كل مشكوك فيه ملغى.

والمقطوع به يقينٌ بعكس الظني الذي هو شكبلا ريب، والدليل على ذلك العقل أولاً، فمن المعقول والبديهي أن اليقين أقوى من الشك، والدليل النقلي قوله عزوجل **{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}**، وهناك أحاديث كثيرة تؤكد هذه القاعدة، لكننا لا نستند عليها لأن القرآن الكريم يكفينا، ولو أردنا ذكرها فسيكون ذلك من باب إلزام المخالف بما ألزم به نفسه، ولا نحتج بها ولا يجب أن يحتج بها المخالف لأنها محل نزاع بيننا، وما نحتكم إليه هو محل الاتفاق لا محل الاختلاف، وهذا معلوم بداهةً.

هذا دون التطرق - بالشرح والتفصيل - لمغالطات من قبيل المصادرة على المطلوب، المغالطة البهلوانية، ومغالطة التوسل بالأكثرية، ومغالطة القسمة الثنائية ومغالطة لعن المصدر ...

الرد على الآيات :

لقد جعلنا الرد على الآيات هو آخر مواضيع هذا الفصل، ولم نجعله بعد الرد على الأحاديث أو غيرها، لإيماننا بأن الحجة بيننا وبين مخالفنا هي القرآن وآياته الكريمة. لذلك فإن الحديث سيطول ههنا بالتفصيل والتوضيح، كي نقطع الشك باليقين.

إن جميع الآيات التي استدلوا بها لا دليل فيها على عذاب القبر، ولا يوجد دليل واحد ينهض على عذاب القبر إطلاقا، عقليا كان أم شرعيا، والمطلععلى تفسيرهم للآيات التي استشهدوا بها يجدهم تجشموا حمل آيات القرآنبتكلفات باردة وتعسفات جامدة، وهذا مسلك قبيح مع كتاب الله عزوجل. وقد ذكرنا أن ابن كثير نفى أن يكون مصدر تفاصيل عذاب القبر هو القرآن، حين قال «أما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث». وأقر بذلك ابن القيم في كتابه الروح (ص 131) حين قال «ما الحكمة من كون عذاب القبر لم يُذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ...».

واعلم أن الاستدلال على الأحكام الشرعية والإيمانية، لا بد أن ينبع من نص قطعي الثبوت والدلالة، والروايات السابقة ظنية الثبوت والدلالة، فلا حجة فيها من الأساس. أما الآيات التي استدلوا بها فإنها قطعية الثبوت ولا اختلاف حول هذا، لكنها ظنية الدلالة ولا اختلاف -بعد التفصيل والشرح - حول هذا كذلك.

بما أن الأدلة ظنية والله عز وجل نهى عن اتباع الظن**{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا**

يَفْعَلُونَ}،فيجب أن نرجع الآيات المتشابهات للآيات المحكمات. والآيات المحكمات تنفي وتعارض عذاب القبر.ومن قام بتأويل الآيات ظنية الدلالة كي يقول بعذاب في القبور، فقد خالف لب القرآن وأساسه.ومن شدة تخبطهم، استدلوا بخمس آيات مكية على عقيدة لم تعرف إلا في المدينة ! فهل بعد هذا التخبط من كلام ؟.

ومن الملاحظ في استدلالات هؤلاء القوم، هو اقتطاع الآيات القرآنية، وقراءتها دون النظر للسياق، وكذلك ضرب النصوص بعضها ببعض وكأنها متعارضة، وهذا غير سليم، وهذا الفعل يقود صاحبه للضلال حتماً. بل ومن شدة ضلالهم فإنهم يستدلون بالآيات المكية، على عقيدة مزعومة أصلها في المدينة المنورة، وهذا التيه لوحده كافٍ للتأكيد على ضلال هؤلاء.

من البديهي عند الفقهاء والمشتغلين في الحقل الشرعي، أنالحكم على الشيء فرع عن تصوره، والأمر الذي يدعو إليه هؤلاء لا أصل له ولا تصور. واعلم أن الخاص لا يحتمل بيان التفسير، وأن كل بيان له يعتبر نسخاً له، ولهذا لم يبين الخاص بحديث الآحاد، وهذا مذهب الحنفية، وهو الأقرب للصواب.

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (إبراهيم 27)

من المفارقات العجيبة، أن المؤمن بعذاب القبرومنكره يستدلان بهذه الآية، ورغم أن الآية صريحة وواضحة المعاني ولا دلالة فيها على عذاب القبر، إلا أنهم قالوا بأن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، رغم أنها آية مكية، كما يذكر ذلك ابن تيمية وغيره.[86]

وإذا رجعنا لكتب التفسير، وجدنا اختلافا كبيرا في تفسير الآية، وتوجد عدة آراء بعضها منطقي وبعضها بعيد عن روح الآية. لكن هؤلاء يحاربون

86 - مجموع الفتاوى 24/379.

الآراء التي تخالفهم ويخفونها عن الناس، فابن عباس كان يرى في معنى الآية «القول الثابت هو لا إله إلا الله في الحياة الدنيا».[87]وقال الطبري بأن أهل التأويل اختلفوا في معنى الآية، فبعضهم قال أن «في الحياة الدنيا» تعني في القبور! وبعضهم قال بل معناها هو الحياة الدنيا كما قالت الآية -وهو الظاهر - لا في القبور.[88] وهذا واضح في الآية، ولا ندري لما هذا الاختلاف حول ما هو واضح وبشدة، فقوله عزوجل في الحياة الدنيا يعني في الحياة الدنيا ولا يعني في القبور.

ومن التفاسير المتفقة مع جوهر الآية، قول القطان «يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر الثابتة في قلوبهم المثمرة بالعمل الصالح والفوز في الآخرة ويضل الله الظالمين».[89]

وقيل يثبتهم على الدين بألطافه، وقيل يمكنهم بما وعدهم من التمكن في الأرض، وقيل هو الكلمة الطيبة والتوحيد والأخذ بالدين ... ومن حصرها في عذاب القبر مخطئ ولا دليل لديه، بل صريح الآية على خلافه، وما إخفاء الآراء الأخرى والاكتفاء بذكر عذاب القبر، إلا دليل على ضعف المنهج وبطلانه من الأساس.

ومعنى تثبيتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا، أن الله عز وجل قد أخبرهم وعلى لسان نبيه أنهم في رعايته وعنايته وأنه هو كفيلهم ووليهم وحافظهم وناصرهم، كما شجعهم وأثنى عليهم بالصدق والإخلاص وما إليها من الفضائل، أما تثبيته لهم في الآخرة بالقول الثابت فهو قوله عز وجل**{يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ}**.[90]

ويثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدد

87 - انظر تفسير: القرطبي والبغوي وغيرهما.

88 - انظر تفسير الطبري.

89 - تيسير التفسير 2/578.

90 - التفسير الكاشف 4/445.

الباقي في الحياة. ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول؛ وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة .. وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تختلف ولا تتفرق بها السبل، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب. [91]

والقول الثابت هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه، والحياة الدنيا معناها : إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا. وفي الآخرة أي أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يهتوا، ولم تحيرهم أهوال الحشر. [92]

يتضح أن التفاسير السابقة، استندت على أقوال الزمخشري في تفسيره البديع **الكشاف**، حيث قال «القول الثابت هو القول الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنتإليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهن أصحاب الأخدود ... وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر». [93]

إن ما ذهب إليه هؤلاء بقولهم أن الحياة الدنيا هي في القبور، هو قول خاطئ ويتنافى مع الآية، بل ومع جميع الآيات،**{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}**.

والآيات كثيرة توضح أنه لا علاقة للحياة الدنيا بالقبور، ولا الآخرة تعني في القبور كذلك، والخبر الذي يستندون عليه - إن صح سنده - خبر مرفوع

91 - في ظلال القرآن، ص: 2099.

92 - الموسوعة القرآنية 10/169.

93 - الكشاف، ص: 551.

{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (السجدة 21)

لا أدري أين «عذاب القبر» في الآية أووجه الدلالة عليه ! بل إن قوله عز وجل **{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** دليل على أن **{الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ}** هو عذاب في الدنيا، لذلك قيل **{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** أي يرجعون للإيمان ويتوبون عن الكفر، والرجوع يكون لمن في الحياة لا لمن كان ميتا أو فيالقبور !.**{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} {بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ}**.

فالعذاب الأدنى هو عذاب الدنيا من قتل وما دونه، والعذاب الأكبر هو عذاب الآخرة، أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة لعلهم يرجعون، أي يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه ... [94]

ولا دلالة في الآية على إثبات عذاب القبر، بل هي دليل على نفيه، حيث يخبرنا عز وجل أن للكفار عذاب دنيوي وعذاب في الآخرة، ولا عذاب غيرهما كما ادعى هؤلاء. فالرجوع يكون للأحياء لا للأموات، والآية مرتبطة بآيات أخرى حيث يقول عز وجل**{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}**.

فالله سبحانه وتعالى لن يعذب عباده إذا لم يستحقوا العذاب بعملهم، وإذا لم يصروا على موجبات العذاب. فهو يوعدهم بأن يأخذهم بالعذاب في الأرض «لعلهم يرجعون» .. وتستيقظ فطرتهم، ويردهم ألم العذاب إلى الصواب. ولو فعلوا لما صاروا إلى مصير الفاسقين الذي رأيناه في مشهدهم الأليم. فأما إذا ذكروا بآيات ربهم فأعرضوا عنها وجاءهم العذاب الأدنى

94 - الكشاف، ص: 844-845.

فلم يرجعوا ولم يعتبروا فإنهم إذن ظالمون وإنهم إذن يستحقون العذاب في الدنيا والآخرة. [95]

ومما ورد عن **إبراهيم النخعي** حول هذه الآية أنه فسر «العذاب الأدنى» ب «المصائب في الأموال والأولاد» أي أن هذا العذاب في الدنيا لا في القبور كما يزعم هؤلاء،وذهب لهذا القول ثلة من الصحابة والتابعين مثل: ابن عباس، ابن مسعود، أبي بن كعب، أبو العالية، الضحاك، علقمة، عطية، مجاهد، مقاتل، أبوعبيدة، قتادة، عبد الكريم الجزري وخصيف ... وغيرهم، وهذا ما اختاره المفسر الطبري لكن دون تخصيص العذاب لأن الله لم يخصص العذاب في الأموال والأولاد. فهؤلاء من عظماء السلف ولا يرون في الآية حجة على عذاب القبر، فمن أين جاء بها هؤلاء ؟!. [96]

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (غافر 46)

هذه الآية هي عمدة أدلة أصحاب عقيدة عذاب القبر، وإذا اتضح عدم دلالتها على عذاب القبر، أو اتضح أنها آية غير مُحكمة، أو دخلها الاحتمال ... فحينئذ تبطل أقوى أدلتهم التي تشير لعذاب القبر حسب زعمهم، ولا أقول بطلان أصل هذه العقيدة المزعومة، حيث لم تثبت قرآنياً ولا أصل لها فيه، وقد اعترف بذلك أغلب القوم وأشهرهم المفسر ابن كثير والفقيه ابن القيم، كما ذكرنا سابقاً.

إن الطرف الآخر لا ينظر للآية كاملة، بل يقرأ نصفها الأول فقط، وهو **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}**، ولو اطلع على النصف الثاني **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** لعلم أن الآية تؤكد أن العذاب بعد قيام الساعة لا قبلها كما يزعمون.

95 - في ظلال القرآن، ص: 2814.

96 - تفسير الطبري 108-21/110. تفسير ابن كثير 3/736.

والعجيب في الأمر، أن الذي ينسب إليه عذاب القبرويستدلون بالآية التي ذكر فيها، وهو **فرعون**، لم يعذب في القبرولم تختلف أضلاعه، ولم يزره «الثعبان الأقرع» و«منكر ونكير» لمحاكمته على طريقة المعتقد الخرافي المزعوم !.

فالله عزوجل يقول في كتابه الكريم **{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}**.

ومن التفسيرات العجيبة لهذه الآية عند القدماء، سنكتفي بذكر مثال واحد فقط رغم وجود عشرات القصص الخرافية، قول ابن أبي الدنيا في كتابه المليء بالخرافات «من عاش بعد الموت» حدثنا حماد بن محمد الفزاري قال بلغني عن الأوزاعي أنه سأله رجل بعسقلان على الساحل فقال له يا أبا عمرو إنا نرى طيراً سوداً تخرج من البحر، فإذا كان العشي عاد مثلها بيضاً، قال وفطنتم لذلك ؟ قالوا نعم، قال تلك طيرفي حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار، فتلفحها فيسود ريشها، ثم تلقي ذلك الريش، ثم تعود إلى أوكارها فتلفحها النار، فذلك دأبها حتى تقوم الساعة، فيقال **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** !!. ولمثل هذه القصص والروايات الأسطورية وصفهمالعقلاءبالحشوية، وهم أحق الناس بهذه الصفة المذمومة.

لن تعرض جهنم على الكافرين في قبورهم أو في مكان آخر إطلاقا، إلا يوم القيامة فتعرض على الكافرين**{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}**. فكيف تكون هذه الآية صحيحة لو رأى الكفار النار في القبور ؟!.

يمكن تأويل آية عرض آل فرعون بعدة تأويلات، ونشير إلى أن العرض غير الدخول، منها أنهم يُعرضون هم عليها لا هي - النار - عليهم، وهذا هو ظاهر النص وسياقه، ويمكن تأويلها كذلك بأن تُعرض أسماؤهم مِن ضمن

مَن سيدخلون النار بذواتهم، ويشبه هذا الأمر ما يحصل في امتحان تنجزه في مكان ما، ثم تُعرض النتيجة والاسم على لجنة ما لقبولك أو رفضك. فالعرض هنا يكون لاسمك أو لصورتك ... لا لذاتك، وقس على هذا المثال والتأويل، وما ذكرناه هنا ما هو إلا تأويل واحد على سبيل المثال فقط، لا الحصر.

ومن التأويلات المذكورة في كتبهم المعتمدة، قول ابن كثير في تفسيره للآية :... وقال قتادة: {غدواً وعشياً} : صباحاً ومساء ما بقيت الدنيا، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم، توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم، وقال ابن زيد: هم فيها يُغْدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة، وقال ابن أبي حاتم، عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها. (أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود موقوفاً).

فيحق لنا أن نسأل مع افتراض أن ما قالوه صحيح، وهو ليس كذلك عندنا :

أين عذاب القبر هنا ؟. بل أين ذكر القبر أصلا ؟.

ومعلوم لدى الجميع أن الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال، ومع ذلك يجادل صاحب العقيدة المزعومة، بل ويزعم أن القرآن نصّ عليها - عقيدة عذاب القبر - وجعلها ركناً من أركانه، بل ويكفر منكرها، ولا دليل في القرآن على ذلك، بل القرآن نصّ على خلافها كما سنوضح في الفصل القادم.

{إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ

آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ}.

لقد ذكر ربنا عزوجل أن الكفار سيعرضون عليه سبحانه وتعالى يوم القيامة في آيات صريحات :

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} {وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا}.

يتبين من هذه الآيات الكريمات حقيقة عرض الكفار على ربهم عزوجل، وهذا مشابه لعرض آل فرعون على النار **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}**.فمن يقول أن آل فرعون يرون النار رغم أنهم هم المعروضين عليها وليست هي المعروضة عليهم، كمن يقول أن الكفار سيرون الله عزوجل يوم القيامة !.وبطبيعة الحال لن يرى الكفار ربهم عزوجل، فالله سبحانه وتعالى يقول :

{كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ} {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}.

نستنتج من هذا أن المعروض -الكفار- لا يرى المعروض عليه -ربنا سبحانه وتعالى- وفي سورة غافر المعروض هم آل فرعون والمعروض عليه هي النار لذلك لن يروها، ويوم القيامة سيتغير الوضع، إذ سيصبح المعروض هي النار والمعروض عليه هم الكفار **{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}.**

قال بعضهم أن الواو في **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** تفيد الترتيب الزمني، وهذا خطأ فاضح، فالقرآن ينكر هذه الدعوى الباطلة، قال عز وجل**{خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ}**ومعلوم من نصوص القرآن المحكمة أن الجان مخلوق قبل الإنسان، يقول سبحانه وتعالى**{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ}** والأمثلة على بطلان دعواهم عديدة في القرآن، ولا يسعنا المجال لذكرها. لذلك فمن قال أن الآية تفيد الترتيب الزمني، فقد أخطأ وتوهم، واستند واستدل على ما يخالف صريح القرآن.

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} (التوبة 101)

لا دليل في الآية ينهض على عذاب القبر، ومن اطلع على كتب التفسير علم ذلك، فبينهم اختلاف حول تفسير الآية. فمن ذهب لتفسير الطبري وجد أن البعض يفسرها كعذاب دنيوي، من قبيل الجوع والقتل والخوف ... إلخ.فالعذاب مرتين في الدنيا.

وإن اعتمدنا على تفسير القرآن بالقرآن، فنجد أن «مرتين» تعني ضعفين، مثل قوله عز وجل **{وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} {أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}.**

وهذا الضعف جدير بالمنافق أكثر من غيره،لذلك نجدد قوله عز وجل **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}**

{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ}.

وقد ذهب **الحسن** لمثل هذا في تفسيره للآية، وكذلك **مجاهد، عبد الرحمن بن زيد، وابن عباس ...** وغيرهم كثير.[97]

{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (الطور 47)

إن استدلالهم بهذه الآية باطل تماما، كاستدلالهم بآية **السجدة**. فهذه الآية تتحدث عن عذاب دنيوي للظالمين، ولتفصيل ذلك نذكر قوله عز وجل **{وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}.**

وجل المفسرين مع هذا الرأي، بأن العذاب دنيوي.[98] فدون ذلك تعني غير العذاب الذي يهلكون به في الدنيا.[99]

والظاهر أن قوله **{عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ}** هو ما عُذبوا به في دار الدنيا من القتل وغيره، لما دل على ذلك قوله **{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** وقوله تعالى **{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ}** إلى غير ذلك من الآيات.[100]

97 - انظر تفسير : الطبري، الزمخشري، ابن كثير، القرطبي ...

98 - انظر تفسير : الزمخشري، القرطبي، الطبري، ابن كثير ...

99 - الموسوعة القرآنية 11/243.

100 - تفسير القرآن بالقرآن، ص: 1426.

{مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} (نوح 25)

رغم عدم وجود دليل على عذاب القبر في الآية، إلا أن الطرف الآخر يستند عليها في دعواه !. وبما أنها آية مكية فمن المستحيل الاستناد إليها للاستدلال بها على عذاب القبر أصلا، وإلا وقعوا في التناقض. وإذا ما ذهبنا لكتب التفسير، فسنجد بعض ما ينكر أن للآية علاقة بالعذاب المزعوم، مثلا القرطبي يقول :

وقيل : أشاروا إلى ما في الخبر من قوله (البحر نار من نار)، وروى أبو روق عن الضحاك في قوله تعالى «أغرقوا فأدخلوا نارا» يعني عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في الدنيا في حالة واحدة، كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب ... ثم يتحدث عن الاختلاف حول **«التنور».**

إن بعض العرب تسمي الفرن التنور، لتشبيه الفرن بالجبل البركاني وفوهته، والأصل أن التنور هو جبل بركاني متفجر، وتشير بعض الدراسات إلى أنه يوجد بمحاذاة البحر الأحمر. ومعنى فار التنور أي قذفالمياه، فمما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال «كل مفجر ماء تنور»، وقال أبو جعفر «وفوران الماء سورة دفعته، يقال: فار الماءيفور فورانا وفورا، وذاك إذا سارت دفعته». (انظر تفسير الطبري للآية).

إننا نزعم أن طوفان نوح عليه الصلاة والسلام كان خاصا بقومه، ونزعم أن «التنور» هو فوهة البركان، وفوران البركان هو الإشارة لطغيان الماء.[101]

إن الآية تتحدث عن جرف السيل لجثث قوم نوح ورميها في البركان **{مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا}** لذلك تم استخدام «فاء» السببيةللترتيب والتعقيب بين الغرق ودخول النار. والنار هنا جاءت نكرة **{نَارًا}**للدلالة على أنها نار دنيوية وليست نار الآخرة **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ**

101 - القصص القرآني 2/45.

اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ} {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} {إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}. [102]

فنار جهنم لم تسعر بعد، وستسعر يوم القيامة يقول عز وجل {**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ**}.

وإن كانت (نارا) تعني نار الآخرة، والفاء للترتيب والتعقيب، فلا تدل الآية على أن قوم نوح قد دخلوا النار بعد موتهم في القبر !. بل يمكن تأويل الآية، لأن الموتى لا يشعرون بالزمان والمكان، كما سنفصل،ويصبح حرف الفاء دليلا على قرب عذاب الآخرة، كما في قوله عز وجل{**إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**}.

فجعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لاقترابه ولأنه كائن لا محالة. [103]وهذا مذهب **مقاتل والكلبي**، أي أنهم سيدخلون في الآخرة ناراً ثم عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصحة كونه وصدق الوعد به.[104]

وقد يكون التعقيب بالفاء مقصود هنا، لأن إدخالهم النار موصول بإغراقهم، والفاصل الزمني القصير كأنه غير موجود، لأنه في موازين الله لا يحسب شيئا.[105]

---

102 - الكتاب والقرآن، ص: 681-685.

103 - الكشاف، ص: 1144.

104 - مفاتيح الغيب 30/145.

105 - في ظلال القرآن، ص: 3716.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأنعام 93)

إن هذه الآية من أقوى أدلتهم، لكن لا يوجد فيها عذاب القبر أو دلالة عليه، وهذا قول قديم قاله ابن جريج وذكره أصحاب التفاسير.

ففي الطبري أن ابن جريج قال أن عذاب الهون، هو في الآخرة وليس في القبور.

أما القرطبي فيقول أن هذا توبيخ، وهو بمنزلة قول القائل لمن يعذبه: لأذيقنك العذاب ولأخرجن نفسك، وذلك لأنهم لا يخرجون أنفسهم بل يقبضها ملك الموت وأعوانه. وقيل أن هذا للكفار وهم في النار.

وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ لأن الآيات تمنع من ذلك، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا، وهذا باطل، وخلاف القرآن الكريم، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.**

وكذلك قوله تعالى **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ**

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}فصح بنص القرآن أن روح (نفس) من مات لا ترجع إلى جسده إلا إلى الأجل المسمى، وهو يوم القيامة.[106]

وقال أحمد عن غمرات الموت أنها من مجاز التمثيل، ولا حاجة إلى ذلك والظاهر أنهم يفعلون معهم هذه الأمور حقيقة على الصور المحكية، وإذا أمكن البقاء على الحقيقة، فلا معدل عنها. [107]

وهناك تأويل آخر بأن كلمة «اليوم» تعني يوم القيامة لا يوم الموت، لأن الزمن بين الموت ويوم القيامة لا يوجد بالنسبة للأموات، وتوجد آيات تؤيد هذا القول، مثل قوله عز وجل**{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}**.

وفي تأويل آخر، يقال أن الملائكة تبسط إليهم أيديهم يقولون : هاتوا أرواحكم اخرجوا إلينا من أجسادكم، أي يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق، ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله، ويقول : لا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك.

ومعنى اليوم تجزون أي وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة الفزع، وهذا أقرب للصواب. [108]

وتأويل آخر يقول : المشهد الذي يرسمه السياق في جزاء هؤلاء الظالمين - أي المشركين -مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب. الظالمون في غمرات الموت وسكراته، ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب، والملائكة يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب، وهم يطلبون أرواحهم للخروج ! وهم يتابعونهم بالتأنيب. [109]

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الأنفال 50)

106 - الفصل 118-4/119.

107 - الكشاف، حاشية ص: 337.

108 - الموسوعة القرآنية 10/448.

109 - في ظلال القرآن، ص: 1149.

{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (محمد 27)

جمعنا الآيات مع بعضها البعض لأن ما يقال عن الآية 50 من سورة الأنفال يقال عن آية سورة محمد، فالآيتان متشابهتان، ولسنا في حاجة لتكرار الكلام.

لا حجة للمخالف في الآيات على عذاب القبر كما يزعمون، بل هي على النقيض تماماً، حيث أن هذه الآيات لا تتحدث عن أشياء جسدية حسية، أو عن أشياء في القبر كما يزعم المخالف. وهذا البغوي وهو منهم يقول في تفسيره للآية : قوله تعالى «وذوقوا عذاب الحريق» قال الحسن : هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الحريق. ومثل هذا قاله القرطبي والطبري وجل المفسرين، حين قالوا أن ذلك في القيامة عند سوقهم إلى النار، وبهذا نقول.

ولا يوجد شاهد في الآية على أن الملائكة تضرب الجسد، بل الآية على خلاف ذلك، واستدلالهم هذا دليل على عدم تدبرهم للآية وعدم فهمها. فالكلام في الآية عن اللحظات الأولى للوفاة، وتختص بالنفس فقط، لا بالنفس والجسد أو في القبور كما يزعم أصحاب الحديث، فبطُل استدلالهم. والظاهر من سياق الآيات أن «عذاب الحريق» بعد البعث والحساب، لا قبله. والحديث هنا عن ملائكة الموت كما هو واضح في الآيات، لا عن ملائكة في القبور كما يزعم هؤلاء، فاستدلالهم بالآية دليل على تخبطهم، فالآية تُنكر ما ذهبوا إليه من خرافات.

لذلك انتقد **الزمخشري** قول **مجاهد** أن **«أدبارهم»** تعني **«أستاههم»**، وقال أن كلام الله عز وجل ليكني، لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد. وذوقوا عذاب الحريق كبشارة لهم، أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا ذلك. [110]

---

110 - الكشاف، ص: 417.

والشاهد على ذلك قوله عزوجل{**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}(الأعراف 39-37)**. فهذه الآية توضح حقيقة الآيات الأخرى (الآية 50 من سورة الأنفال والآية 27 من سورة محمد عليه الصلاة والسلام).فالظاهرمن جميع الآيات أنها تتحدث عن يوم القيامة، ومن الآيات التي ترتبط بنفس الموضوع قوله سبحانه وتعالى{**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}(يونس 70-69) {وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ}(لقمان 24-23)**

ومن الأخطاء التي قادتهم لبعض الأخطاء في التفسير، عدم التفريق بين الموت والوفاة رغم شيوع هذا الفهم بين الناس، قوله عزوجل {**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**
يتضح من الآية أن الوفاة ليست هي الموت.

رشيد الجراح :

نقدم هنا رؤية أخرى لباحث إسلامي، لتفسيربعض الآيات السابقة .يقول الدكتور **رشيد الجراح** :

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأنعام 93)

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الأنفال 50)

{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (محمد 27)

إن الآيات تتحدث عن مشهد من أهوال يوم القيامة، سيتساءل البعض : وما دليلك ؟. سأجيب بأن دليلي كالعادة آيات القرآن الكريم وسنرتلها لتوضيح الأمر، فالآية تقول **{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ}** فما هي الغمرات ؟ وهل الغمرات للجميع أم خاصة بالظالمين ؟ ومتى يكون الظالمون في غمرات الموت ؟.

إن كلمة «غمرات» مشتقة من الفعل «غمر» كما في قولنا «غمر الماء الرجل» أي أصبح الماء يحيط به من كل جانب، وهذا يدل على أن هناك فرق بين «غمرات» و «سكرات» وهذا ما سقط فيه البعض - الترادف - لأن الموت لم يغمر الإنسان كليا في هذه اللحظة بعد، ولو كانت تعني سكرات لوردت لفظة سكرات نفسها بدل غمرات بدليل قوله عزوجل في آية أخرى **{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}**. فما الذي يمنع «سكرة» أن تأتي على صيغة الجمع «سكرات» بدلا من كلمة «غمرات» لو كان ذلك هو المعنى المقصود ؟. إننا نعتقد أن كلمة غمرات لا علاقة بسكرات، بل هي مفردة لها معناها الذي لا يمكن لمفردة أخرى أن توفيه.

ثم لنتدبر استخدام اللفظ بصيغة الجمع، وهذا يدل على أن الغمر أصبح كثيفا وكبيرا ولا يتم ذلك إلا بعد أن يكون قد قطع زمنا طويلا في هذه الحالة.

لقد جاء طلب الملائكة على شكل **{أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ}** ونحن نعلم أن الخروج يعني الانتقال من مكان إلى مكان، وغالبا ما يكون من الداخل إلى الخارج، فكيف إذا بالميت أن يخرج وهو في تلك اللحظة سيدفن ؟ أي سينتقل من الخارج إلى الداخل، فما هو الخروج الذي تتحدث عنه الآية ؟ لعل الكثيرين ظنوا أنها خروج الروح من الجسد، فنقول كلا وألف كلا، إن نص الآية يدل بصريح اللفظ على خروج النفس وليست الروح، ونحن نفهم بالمنظور الإسلامي أن النفس غير الروح**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**.

هل تعود كلمة «اليوم» في قوله عزوجل**{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}** وفي قوله سبحانه وتعالى**{لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ}** على يوم الموت أم على يوم الحساب والعقاب ؟.

ولنتدبر الآية الكريمة التي تتحدث عن عذاب الهون**{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}**ونلفت انتباه القارئ الكريم إلى التطابق العجيب بين هذه الآية الكريمة والآية السابقة التي نحن بصدد فهمها، ونعيد الآيتين معا لتتم المقارنة بسهولة ويسر **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**

أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}.

بعد كل ذلك يأتي سؤالنا : متى يكون عذاب الهون إذا ؟ في القبر أم يوم القيامة ؟.

ولا بد من أيضا من تسليط الضوء على آية أخرى غالبا ما استخدمت للتدليل على وجود عذاب القبر **{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}**. ففي هذا دليل - كما ظن الكثيرون - على عذاب القبر، فهم يعتقدون أن الملائكة يبدؤون ضرب الكفار لحظة الموت، فنقول كلا وألف كلا، لأن في ذلك عدم دقة في فهم معاني مفردات الآية نفسها، فنحن نعتقد أن الضرب يحدث بعدما يتوفى الذين كفروا الملائكة، وذلك بنص الآية نفسها، وليس عندما يموت الكافر مباشرة، وقد يرد البعض على الفور بالقول : وما الفرق ؟ نقول أن الملائكة - كما ورد في الآية نفسها - لا تميت الكفار وإنما تتوفى الكفار، وهذان معنيان مختلفان، فالإنسان يموت والإنسان يتوفى، ونحن بحاجة للتفريق بين الحالتين ودليلنا على ذلك قوله تعالى **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.**

وسؤالنا هو : كيف يتوفى الله الأنفس حين موتها ؟ فهل يعني ذلك أن الله يميت الأنفس حين موتها ؟ أليس في ذلك تناقض ؟ وإن كان كذلك، فما فائدة اللفظ إذا ؟ والأهم من ذلك كيف ستقرأ الآية نفسها ؟.

ونخلص إلى القول أن الوفاة تحدث للطرفين، للأنفس التي تقضي عليها الموت، وكذلك للأنفس التي لم تمت في منامها، ودليلنا على ذلك قوله تعالى **{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ**

لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}
فهل يموت الإنسان عندما ينام، كلا إنها الوفاة فقط.

إن الفهم الدقيق لألفاظ القرآن يزيل بلا شك الإبهام الذي يصادف الكثيرين، وما يهمنا هنا هو التفريق بين أن يكون الشخص متوفى وأن يكون ميتا، فالوفاة تحدث للميت والحي. نعم إننا نفهم معنى توفي الذي جاء في آية عذاب الملائكة للكافرين على نحو ما جاء في كتاب الله عزوجل، قال تعالى **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**.
نخلص إلى النتيجة أن الملائكة لا ولن يضربون الكفار إلا بعد أن توفى**{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** ولا يكون ذلك إلا بعد الحساب، ولنتدبر الآية مرة أخرى متسلحين بهذا المعنى، قال تعالى**{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}**. إنها الصورة نفسها التي تتكرر في قوله تعالى **{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}**. ويكون ذلك بعد أن يتلقى الكافر كتابه بشماله فتؤمر الملائكة بأخذه إلى عذاب الحريق.[111]

لقد أجاد الباحث **رشيد الجراح** تفصيل الأمر بدقة، وإننا نؤمن أن الاستقبال - استقبال الملائكة - يكون بعد الخروج من الأجداث وليس يوم الموت الخاص بصاحبه، وهذا مشابه لقوله عزوجل **{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}**.

111 - (مدونة رشيد الجراح dr-rasheed.com).

إن ما قدمه **رشيد الجراح** ما هو إلا تأويل من عدة تأويلات، لا نسلم بصحته مطلقاً، ولا نؤمن ببطلانه مطلقاً كذلك. وهذا ما ندعو إليه، أي كثرة التدبر والخروج بأقصى عدد ممكن من التأويلات، والعمدة في الاختيار بينها هو الدليل والحجة، لا القائل ودينه أو ملته أو فرقته ... .

خلاصة :

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}

اعتمدنا في ردنا على المخالف منطق الإلزام، لذلك كانت جل الأدلة أعلاه عبارة عن أدلة نقلية يُلزم المخالف بها نفسه، وللإشارة والتوضيح فإننا لا نلتزم بجلها، سوى القرآن الكريم وما وافقه ووافق العقل.

وبعد أن عرضنا أدلة من يقول بعقيدة عذاب القبر عرضاً تفصيلياً، ووضحنا ضعف استدلالهم وتأويلاتهم، خلصنا لعدم صحة العقيدة المزعومة، فلا يوجد دليل ينهض عليها بل الدليل على خلافها. ولا توجد في القرآن الكريم آية تذكر «عذاب القبر» باللفظ أو بالوصف، لا من قريب ولا من بعيد، والذي يعرض آيات - يتوهم أنها - عن عذاب القبر، لا علم له بالأدلة مطلقاً، ولا يعلم ما معنى الدليل النقلي من الأساس.

وكل ما ورد فيها من أحاديث فهي لا تصح مطلقاً، لوجود علل مرتبطة بالمتن أولاً، أو بالسند ثانياً.ولا نهتم لأقوال البشر في هذه المسألة، ولا يلزمنا شيء من أقوالهم البتة، فالعمدة في محور بحثنا هو كتاب ربنا عز وجل **«القرآن الكريم»**.

لا يوجد عندنا تفسير للرسول أو الصحابة - رغم عدم إيماننا بحجية تفسيرهم - موثق لجميع الآيات المذكورة، كل ما لدينا هي أقوال من تبعهم، وللتابعين في تفسير تلك الآيات أقوال متناقضة ومضطربة.

وكما يتضح من جميع التفاسير السابقة، فهناك مجموعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ... لم يقروا بتأويل تلك الآيات للدلالة على عذاب القبر إطلاقا، نذكر منهم :

ابن عباس، الحسن، أبي بن كعب، أبو العالية، النخعي، الضحاك، علقمة، عطية، مجاهد، قتادة، ابن جريج، خصيف، عبد الكريم الجزري، عبد الرحمن بن زيد ... وغيرهم.

ومن - أشهر - الفقهاء ابن ميسرة، ابن حزم، ابن هبيرة وابن الجوزي ... وغيرهم.

فنطرح هنا سؤالاً مهماً :

هل هؤلاء كفار ؟!.

إن جميع الأدلة والروايات للمؤمن بعذاب القبر، باطلة وغير صحيحة، ومن المؤسف نسبها للنبي عليه الصلاة والسلام، فكل ما سبق يتناقض - علي سبيل المثال لا الحصر - مع قوله عزوجل **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** **{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.**

هذا دون التطرق لموضوع أنه لا دليل في القرآن على عذاب القبر أو عذاب البرزخ، كل ما في القرآن هو عذاب في الدنيا أو في الآخرة، ولا عذاب غيرهما.

ورغم تقريرهم لبعض القواعد النظرية المنطقية، إلا أنهم في التطبيق يحيدون عن الجادة، فهم هم يقررون أن الأصل تأخير الأجزية إلى دار الآخرة، لكنهم يخالفونها عند الحديث عن عذاب القبر. وهذا مثال واحد عن تناقضهم بين التنظير والتطبيق، وإلا فالأمثلة على ذلك كثيرة، وقد ذكرنا بعضها في هذا الكتاب.

ولنا في قول ابن حزم الأندلسي خير برهان على ذلك، حيث يقول «ولم يأت قط عن رسول الله خبر يصح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة».[112]

ونحن نذهب لأبعد من هذا ونقول أن جميع الروايات لا تصح نسبتها للنبي عليه السلام والسلام، لأن مجال السمعيات وبالتحديد «اليوم الآخر» وصور النعيم والعذاب، شكلت مجالاً خصباً لخيالات الناس، مما افسح المجال لانتشار آراء فاسدة ليست من الإسلام في شيء، وأتاح الفرصة لكثير من الترخصات والتقولات.[113]

ومن المصائب العظمى التي نزلت بالمسلمين منذ العصور الأولى صناعة الأحاديث، ثم بعدها انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم ... وقد أدى انتشارها إلى مفاسد كثيرة منها ما هو من الأمور الاعتقادية الغيبية، ومنها ما هو من الأمور التشريعية ... وهذا باعتراف الألباني.[114]

فبعد أن جئنا بجميع أدلتهم، وعرضناها على القرآن أولا، ثم المعقول والمسموع ثانيا، ثم التاريخ والسنن الكونية ... تبين أن ما يدعوا إليه الطرف الآخر، ما هو إلا خرافة أخذت صبغة دينية لا أصل لها، بل كل ما سبق ذكره هو خلافها ومكذبها، ولا يمكن أن ندع كتاب ربنا للخرافات مهما طال بها الزمن.

فلا يوجد دليل واحد ينهض على عذاب القبر إطلاقا، بل الأدلة البينة

112 - الفصل 2/318.

113 - الجبائيان، علي فهمي خشيم ص 256.

114 - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 1/47.

والحجج البالغة قائمة على خلافه ونفيه، واعتمدوا على أدلة هي أوهن من بيت العنكبوت، وبعضها لا يرقى للدليل من الأساس، وتخبطهم في اقتناء الآيات التي استدلوا بها خير دليل ومثال على ضعف المنهجية الفكرية والعقلية لديهم، وخلاف الأمة حوله - عذاب القبر - دليل من الأدلة على بطلانه وعدم ثبوته.

فإما أن نصدق كلام الله عز وجل الواضح والبين، أو نكذب الله عز وجل ونصدق ما يسوقه المؤمن بهذه الخرافة !. فلا عذاب دون حساب، ولا حساب إلا في الآخرة، لا في القبر كما يتوهم البعض.

وإن قال قائل أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ...!

قلت هذه سفسطة لا طائل منها، فإن كان اسمه عذاب البرزخ، فلماذا تغير اسمه لعذاب القبر ؟!! فالأولى أن يظل الاسم كما هو، والأدلة على هذا كثيرة.

وإن أصروا على هذا، قلنا لهم نلزمكم بقولكم وحججكم فيصبح عندكم من قال أنني أؤمن بالسماء وهو يعني الله عز وجل، فقوله صحيح على مذهبكم، وهذا باطل عند كل ذي عقل، فتأمل !.

إن القرآن الكريم ليؤكد أن العذاب بعد الموت هو عذاب في الآخرة حصراً، بعد الحساب يوم القيامة مع بعض الاستثناءات التي استثناها القرآن الكريم. فليس ثمّ دليل من الكتاب الكريم أو السنة - على مبانيّ السنة لا تثبت العقائد من الأساس - على عذاب القبر.

أما ما ذهب إليه أصحاب عذاب القبر، فما هو إلا خليط من ثقافة الشعوب والديانات المجاورة، خصوصاً ثقافة مصر القديمة والديانة الزرادشتية.إن القول بأن في القبر عذاب- كما يدعي هؤلاء القوم - عبث، والإيمان بذلك عبث مضاعف.

ولا نقول هنا إلا كما قال الفيلسوف الكبير **فولتير**«يصعب تحرير الحمقى من الأغلال التي يقدسونها»، وهذا حق معلوم بالنظر والسماع والمشاهدة ...

لا بد من قراءة شمولية للنص الشرعي، بدل الاتكاء على القراءة العضين، فالقراءة الشمولية تتيح سلامة الفهم والعلم ... عكس القراءة العضين التي تقود للتفرق ولإنكاربعض النصوص مقابل أخرى. ونستأنس هنا ببعض ما نُسب للنبي علبه الصلاة والسلام : »أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله مغضبا قد احمروجهه يرميهم بالتراب ويقول : مهلا يا قوم ! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه» .[115]

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

١١٥ -أخرجه أحمد ١١/٣٠٤.

الفصل الثالث

أدلة عدم وجود عذاب القبر

تمهيد :

بعد أن وضحنا، وبالدليل القطعي، أن أدلة المؤمن بخرافة «**عذاب القبر**» غير سليمة ومعلولة، فإننا نتطرق في هذا الفصل لتوضيحعدة مصطلحات منها مصطلح»**الخرافة**»،ثم شرح**القول الفصل** الذي وصلنا إليه بعد تدبر طويل في هذه المسألة.

من أهم الأسباب التي تواجه الباحث عن مسألة ما، هي دخوله هذا البحث وهو مقتنع بوجهة نظر ما، فلا تجده يبحث في المسألة بحيادية، بقدرما يبحث عن أدلة تقوي وتؤكد وجهة نظره المسبقة. وهذا منهج جل الباحثين - عن أي أمر - منذ القرون الأولى وإلى يومنا هذا. وهذا منهج باطل.

فتجد من تكلم حول هذه المسألة - أو غيرها - يحاول أن يجمع الأدلة التي توافقه ثم يغالط إما جهلا أو بعلم، وهذا فعل شنيع.

إننا نحاول جاهدين أن نصحح المفاهيم المغلوطة حول ديننا الإسلامي الحنيف، كما قال شيخنا**محمد عبده** «نريد تصحيح الاعتقاد وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين، حتى إذا ما سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب واستقامت أحوال الأفراد واستنارت بصائرهم بالعلوم الحقيقية وتهذبت أخلاقهم بالملكات السليمة وسري الإصلاح منهم إلى الأمة جمعاء» .

وعدم الاعتراف بالأخطاء وإصلاحها سيقودنا للهاوية لا محالة، هاوية أكبر من التي هوينا إليها منذ مئات السنين، لذلك فإنه من الواجب علينا -كمسلمين - أن نعالج الأخطاء التي تعيق فهم الدين الحنيف والقرآن على الوجه السليم.

ومن بين الأخطاءالكارثية التي تقودالباحث - في القرآن بالتحديد - للعبثية في بحثه، هو القول **بالترادف. والترادف** اصطلاحا هو التطابق بالمعنى رغم اختلاف المبنى، كقولنا أن الرجال تعني الذكور، أو قولنا أنّ النفس هي الروح ... وهذا محال وجودهفي كتاب الله عزوجللأنه ليس كتاب شعر، فالشعر لا يعيبه الترادف أما القرآن فقد قال عزوجل **{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ}**.

ومن الأخطاء المنتشرة بكثرة بين الناس، رفض الأفكار دون بحث وتحقيق ودون النظر لمحتوى الفكرة، وتجد أن الشخص يرفض فقط لأنه يتبع شيخا أو فقيها أو مذهبا ... لم يقل بذلك، وهذا مخالف للمقارنة الفقهية والأصولية، بل ومخالف للكلام المنسوب لأمير المؤمنين علي عليه السلام «**لا تنظر إلى من قال وانظر لما قال**» وهذه حكمة من حكم ربيب بيت النبوة، وهي قاعدة منطقية يحتاجها كل شخص في حياته.

لا بد من إعادة الوحي الإلهي بقدسيته وسلطته إلى مكانته الصحيحة، تلك المكانة التي احتلتها الروايات وأقوال البشر التاريخية .. التي أدت لتعميق الهوة بين المسلم وكتابه الرباني**{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}**.

فالقرآن الكريم هو الوحيد الذي يمتاز بخاصية «**ثبات النص مع حركية المحتوى**» أو ما يطلق عليه ب «**صالح لكل زمان ومكان**»، وهذا ما لا تتميز به الروايات والأقوال التاريخية التي تكرس للظلم والاستبداد العقلي والفكري.

إنني أؤمن بإسلام محوره القرآن الكريم، فهو المصدر الأول عندي، فما هو الإسلام الذي أؤمن به ؟.

الإسلام الحنيف والعقل :

إننا ندعو الناس جميعا، لفهم «**الإسلام الحنيف**» الذي يدعو للتفكر والتدبر والعقلانية، لا «**إسلام العجائز**» الذي يخاف السؤال والعقلانية والتفكر، فهذا دين الشيطان لا دين الرحمن الذي جعل للعقل مكانة عالية، وتم ذكر العقل ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من 80 مرة.

والعقل كنز عظيم ونعمة من الله عز وجل لا مثيل لها، فبه امتزنا واختلفنا عن باقي المخلوقات، وبه عرفنا ربنا سبحانه وتعالى وشرعه ورسله ... وبه ميزنا الصالح من الطالح، وبه علمنا الصدق من الكذب، فلا عبرة لمن أهان العقل وحطّ من قدره، فقال : بُل على العقول !.

لقد أرسل الله عز وجل محمداً عليه الصلاة والسلام للناس كافة لكي تقوم الحجة عليهم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، فدعوة الإسلام ليست لفرد دون آخر ولا لقوم دون آخرين ولا لزمان دون غيره **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}** فالإسلام عام لجميع المجتمعات البشرية لأنه دين الفطرة ودين الحنيفية**{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}** **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}**.

فهذا الدين جاء لخير الإنسان وسعادته في دنياه وآخرته، وهذا ما نراه في إباحة المعاملات الصالحة لإقامة مجتمع تتحقق فيه السعادة في إطار الأفراد والجماعات، وحرم ما يؤدي إلى الفساد والإفساد، فشرع الله عزوجل يأمر دائما بكل ما يجلب المصالح ويمنع المفاسد. أما بخصوص العبادات والشعائر فقد هدفت لتهذيب النفوس ودعت لصلاح الإنسان، وحرمت ونهت عما يجعل الإنسان شريرا أو فاسدا، لذلك فإن أوامر الإسلام تدعو لتهذيب الفرد وغرس الفضائل فيه، والبعد به عن نوازع الشر والفساد.

لا بد لنا أن نتفق حول أصول لا اختلاف فيها، كي نصل لنقطة مشتركة عموماً، أما إن بدأنا بعكس هذا المنهج، فسيكون الحوار والنقاش فارغاً لا فائدة منه البتة.

ومما نتفق عليه جميعاً - كمؤمنين - القرآن الكريم، ونؤمن أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأنه أصل الأصول ... لذلك وجب الرجوع إليه أولاً كي يفصل بيننا بالحق.

وقد يقول قائل : وما هو القرآن الكريم أصلاّ ؟ وهل هو كتاب علم أم كتاب سياسة ؟.

نقول : هذا سؤال مشروع وجيد، إذ يجب تعريف هذا الكتاب العزيز وما الغرض منه، قبل الشروع في الاستدلال منه.

ومن الأمور القطعية أن هذا الكتاب الكريم كتاب هداية وإرشاد لمكارم الأخلاق والمعاملات، بين الفرد ونفسه أولاً، ثم بينه وبين غيره ثانياً. وبجانب الهداية والإرشاد وإصلاح النفوس، يحتوي الكتاب الحكيم على أحكاموو عدٍ ووعيد، وبيان لمنزلة البر والفاجر في الدنيا والآخرة، ومن مصاديق هذا قول الرحمن سبحانه وتعالى**{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة 2)**، وأي محاولة لاستبدال هذا المغزى الذي قرره رب العالمين في كتابه العظيم، أو عدم جعله الأصل والأساس ستقود لا محالة إلى نتائج كارثية، ولنا في بعض الفرق المندثرة والمعاصرة خير مثال.

لا بد لنا أن نشير إلى طريقة فهم القرآن وتفسيره، لذلك اعتقدأن تفسير القرآن العظيم بالقرآن هو أفضل التفاسير على الإطلاق، ولذلك اعتمدناه بشدة في كتابنا هذا، بل إنه أحد أسس منهجي في التعامل مع الكتاب الحكيم. ثم يأتي بعده تفسير الموضوع بأكمله، أي تُجمع جميع الآيات التي تتحدث عن موضوع ما ثم ندرسها كوحدة متصلة لا منفصلة، وهذا ما يطلق عليه بالتفسير الموضوعي. ونعتمد على السياق لفهم الآية بأكملها، وما سبقها وما يلحقها لتوضيح المعنى بجلاء.

العقل والنقل :

إن مسألة العقل والنقل مسألة عظيمة وعميقة في الفكر الإسلامي خاصة، وفي الفكر الديني والإنساني عامة، وقد تناولها ثلة من الفلاسفة والمناطقة وغيرهم، ومن تتبع تاريخ هذه الجدلية في التاريخ الإسلامي بالتحديد، فسيجد عدة فرق اختلفت حولها كثيراً، ويمكن اعتبارها أساس من أسس كل فرقة ومذهب ومنهج للتفكير، لذلك يستحيل التحدث حول أي مسألة دينية دون التطرق لهذه الجدلية وتحديد موقف المتحدث منها.

ولا نقول هنا إلا كما قال الأوائل، ولن تجد أحدا ممن ينفي حجج العقل إلا وهو يستعملها ضرورة، إما أنه لا يعلم ذلك أو يعلم ذلك ولكنه يكابر، وكما هو معلوم -عند المتكلمين - فإن كل قول رجع على قائله من حيث يريد به إلزام خصمه فهو ساقط.

وما أجمل قول **الفخر الرازي** «والقول بترجيح النقل على العقل محال، لأن العقل أصل النقل فلو كذبنا العقل لكنا كذبنا أصل النقل، ومتى كذبنا أصل النقل فقد كذبنا النقل. فتصحيح النقل بتكذيب العقل يستلزم تكذيب النقل، فعلمنا أنه لا بد من ترجيح العقل». وذكر **ابن رشد** مثل هذا وقال «إن الله عز وجل لا يمكن أن يعطينا عقولا ويعطينا شرائعا مخالفة لها». فمن خصائص النبوة سلامة العقل، لذلك لن تجد نبياً

مجنوناً أو فاقداً لعقله، ولا يعقل أن يكون شرط التكليف والنبوة - العقل - محارباً من طرف الخالق عزوجل وشرعه.

بل إن الله عزوجل يعلي شأن العقل ودوره، بل وجعله المحور الأساس في واحدة من أهم القضايا الدينية والوجودية والفكرية ... ألا وهي وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، فما بالك بدونها. أما من ألغى دور العقل وسار على نهج من قال «بُل على العقل» !! فهذا لا يحتاج للنقاش أصلا، حيث ألغى العقل وهو محور النقاش والفكر، فكيف نحاور فاقد الشيء عن الشيء نفسه ؟ لذلك فإننا نتجنب هذه السفسطة الفارغة، ونناقش في كتابنا هذا من جعل العقل حجة.

إن النقل السليم يستحيل أن يتعارض مع العقل السليم، والعكس صحيح، والعقل السليم هو الحاكم على سلامة النقل، والعكس ليس بصحيح. وقال **جلال الدين الرومي** «ومثلك عندي كمثل الذي يطرق الباب على الشيخ فيأتيه صوت الشيخ من الداخل : الشيخ ليس هنا، قال ولأنه يعرف صوت الشيخ فيفهم من ليس هنا، أنه هنا ويستمر بالطرق». إن أي معتقد يعلن الحرب على العقل، سوف يصبح مع مرور الزمن غير قادر على الوقوف أمامه، وهذا كلام عظيم من الفيلسوف **كَانْتْ** يحتاج لعقول نيرة تفهمه.

إنني أؤمن بإسلام لا توجد فيه سلطة كهنوتية تحتكر الدين أو فهمه، ولا مجال فيه للخرافات. فالإسلام الحق لا أساطير فيه وتعاليمه واضحة ومفهومة، فهذا الدين لا يقر الخرافة ولا المعتقدات التي تنافي العقول السليمة، بل إنه يحث على البحث عن الحقيقة والسعي إلى المعرفة، ويدعو للتفكر والتدبر والآيات في هذا الصدد عديدة نذكر منها قوله عز وجل **{وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}**.

ولا تعارض بين الدين والعقل كما يوهم البعض، بالأخص التيار الحشوي، ولو كانت علاقة الدين بالعقل علاقة تضاد، فمن الأكيد أنه مع مرور الوقت سيتغلب العقل الذي يقوم على الدليل. لأن الحجة

في البرهان كما يشير القرآن لذلك في قوله عز وجل **{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**، وبما أن الدين يقوم على البرهان، وأقوى أدلته هي البرهان العقلي، فلا تعارض ولا تضاد بينهما، بل إن من مقاصد الشريعة حفظ العقل.

إن التشريع الإسلامي اكتمل نزولاً بنزول القرآن الكريم وهذا لا اختلاف فيه بين المسلمين، والشرع الإسلامي كله في القرآن حصراً. إن التنزيل الحكيم حجة على الجميع بمنظومته اللغوية والسياقية والتعبيرية ... شرط أن نتعامل بلسانه هو لا ما وقع له - لسان القرآن - من تغيير بعد ذلك في دلالات الكلمات.

إن العقائد الإيمانية الغيبية مرتبطة بالدليلين الشرعي والعقلي معا، ولا يمكن أن نفصل بينهما، لذلك فإن الله عز وجل ذكر كل العقائد في كتابه الكريم، ولم يتركها للقيل والقال أو للعنعنة ...[116] والعقائد أساسها اليقين الخالص الذي لا يتحمل آثاره من الشك، ولا عقيدة لدينا تقوم على خبر واحد أو تخمين فكر،[117] ولا نجد القطعيات إلا في القرآن الكريم فقط.

وقد اتفقت الأمة بل وسائر الملل، على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي : **الدين، النفس، النسل، المال والعقل.**[118] ومن المسلمات التي اتفق عليها الأصوليين، أن العقل مناط التكليف،[119] ويجب حفظ هذا العقل مما يفسده، وهي مفسدات معنوية، كالتصورات الفاسدة في الدين والخرافات المنسوبة إليه، ومفسدات حسية.

وفساد العقول بالخرافات، كعذاب القبر وغيره، والأفكار المنحرفة والبدع ... أخطر من فسادها بالمفسدات الحسية.[120] لذلك فإننا نحارب

116 -تحرير العقل من النقل لإسلامبولي.

117 -السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث 66.

118 -الموافقات 1/31.

119 -المستصفى 20.

120 -الإسلام وضرورة الحياة 114-118.

ظلام الخرافة بنور العقل، ذلك العقل الذي يدرك الوحي ويميزه عن الكذب، ذلك العقل الذي يفحص ويمحص ولا يروم للخرافة لمجرد نسبتها للرسول عليه الصلاة والسلام، وهو نفس العقل الذي يحكم على الروايات وصحتها وبطلانها ...

من يقول أن عذاب القبر جائز عقلا ولا تناقض بينهما، قلنا له : بهذا القول فإنك تجيز عقيدة الفراعنة، لأن العقل الذي يقبل عذاب القبر يجب أن يقبل عقيدة الموت الفرعونية للتشابه والتطابق بين العقيدتين، ومن فعل ذلك فقد افترى على الله ورسله.

والأمر العقلي هو ما يقابل الأمر الحسي، وما لا يدرك بالحواس الظاهرة ولا يكون للحس الباطن فيه مدخل فهو أمر عقلي.[121]

الإيمان بالغيب :

الغيب لغة : قال ابن فارس «الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ثم يقاس، من ذلك الغيب: ما غاب مما لا إلا الله ...».[122]

واصطلاحا : هو العلم الذي لا يعلمه إلا الله عزوجل، ولا طريق لتحصيله إلا بواسطته هو عزوجل، وهو ما سوى عالم الشهادة.

إن الإيمان بالغيب من خصائص المؤمن بالله عزوجل، لهذا وصف الله عباده المتقين، وجعل الفلاح منوطاً به**{الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(البقرة 5-1).**

---

121 -كشاف اصطلاحات الفنون 1245.

122 -معجم مقاييس اللغة.

والإيمان بالغيب من بديهيات المؤمن بالله عز وجل مهما كانت ملته وشريعته، والسبيل الوحيد للعلم بالغيب هو الوحي الإلهي، وعند أتباع النبي محمد عليه الصلاة والسلام خصوصاً فهو القرآن الكريم.

ويستند المخالف لدعوى الإيمان بالغيب كي يمرر مسألة عذاب القبر، وهذا لا يصح لعدة أسباب، فلا يصح الاستناد لهذا القول كي يتم بناء عليه خرافة لا دليل عليها، بل الدليل على خلافها، كما وضحنا وسنوضح بتفصيل.

إن الإيمان بالغيب لا يعني فتح الباب أمام صاحب كل خرافة كي يقول هذا غيب وذاك غيب ... ليصدقه الناس كالخراف والبهائم، فلا يقول هذا إلا من لا عقل له. ولا يعني كذلك أن الإيمان بالغيب منافٍ أومضاد للأدلة العقلية، بل هو على العكس من ذلك، فالرسل عليهم السلام لم يُخبروا بما يُحيله العقل كما يقول البعض، فالمُحال مُحال قطعاً، ولا يفرق القوم بين المُحال والمَحار، لذلك تجدهم يتخبطون حين الحديث عن هذه المسائل، وهذا راجع لعدم الاشتغال بالمنطق.

لذلك وجب لفت النظر للفرق بين المُحال والمَحارة، وهو :

المَحارة : عبارة عَمّا لايُمكنُ العقل تَصَوُّره، مع تَجويزه بالنّظر إليه في نفس الأمر، وإنّما هو مُمتَنِعٌ بالنَّظر إلى تَصوّر العقل له.

والمُحال : مُمتَنع بالنَّظَر إلى تَصَوُّر العقل وإلى نفس الأمر.[123]

ومن الأدلة القوية على ذلك مسألة وجود الله عزوجل، فرغم أنها غيب بلا ريب، لكنها تستند في المقام الأول على الأدلة العقلية، ولا نعلم من ينكر هذا من جميع الطوائف والملل عامة، ومن أهل الإسلام خاصة. لذلك فالقول بأن عذاب القبر غيب ولا يصح دخول مباحث الغيب والعقيدة بالعقل، قول ضعيف مردود على قائله.

123 -العواصم والقواسم 1/362.

ويقول المخالف أننا ننكر الإيمان بالغيب لأننا ننكر عذاب القبر !!.

نقول: هذا مصادرة على المطلوب، فالخلاف بيننا حول إثبات عذاب القبر من عدمه، فإن ثبت عذاب القبر كأمر غيبي ذكره الله عزوجل في قرآنه الكريم، لسلمنا لله عزوجل ولكم ذلك، لكن القرآن ومحكم آياته ينكران عذاب القبر وهما على النقيض منه.

السنة في القرآن :

حين نستقرئ آيات الكتاب الكريم نجد أن المادة (س ن ن) قد وردت في تسع مواضع من السور المكية، وفي عشر آيات من السور المدنية،تعني لغة : الطريقة والسيرة.[124] وتعني السيرة حسنة كانت أو قبيحة**{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}(الكهف 55).**[125] فهي تدل على جريان الشيء واستمراره**{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}.**

ورد لفظ «**سنة**»في القرآن الكريممتجسما في تركيبين إضافيين هما :

- **سنة الله.**
- **سنة الأولين.**

السنة من «**سن**» وتعني في اللسان العربي

سنة الله : أكد القرآن الكريم على ثباتهافي عدة آيات، مثل قوله عز وجل**{وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}**وهذا الثبات متصل من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر.

---

124 -:النهاية لابن الأثير 3/68.

125 -تهذيب اللغة لابن منظور 12/301.

سنة الأولين :أكد القرآن الكريم على ارتباطها بزمن الماضي، قال عز وجل**{وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}**فهي سنة غير ثابتة ومرتبطة بالماضي.[126]

إن سنن الله عزوجل لا تحابي أحدا، يقول عزوجل **{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}** والنفي هنا قطعي، فلا حاجة لإيجاد تبريرات واهية لمواضيع ظنية متهافتة.

فالسنن الإلهية الكونية ثابتة ما دامت الحياة قائمة على الأرض وهذا أصل له استثناء، والاستثناء هو ما يقضيه رب العالمين على أيدي الأنبياء والمرسلين ... وبعد ختم النبوة بحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام فلا تغيير لهذه السنن إلا أن يشاء الرحمن عزوجل.

وقد ذهب البعض ممن يؤمن بعذاب القبر والخرافات .. للقول بأن السنن الإلهية الكونية لا تنطبق على الأموات !! وهذا قول ضعيف ومردود، لا يقوله إلا جاهل لا يعرف رب العالمين تبارك وتعالى. ففي هذا القول ذم لله عزوجل وحاشاه من هذا العجز والعبثية المنسوبة إليه من طرف هؤلاء، فانظر وتعجب.

إن الجسد بعد الموت يتحلل ويبقى كذلك إلى يوم يبعثون**{قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا}**. والشهداء أحياء عند ربهم، لا في القبور كما يزعم هؤلاء القوم. فلا رجعة للشهداء في هذه الدنيا لأجسادهم، بل هم أحياء عند ربهم ولن يرجعوا للدنيا أو القبر.

والقول بتعذيب الميت وشعوره بالعذاب مناقض للسنن الكونية الإلهية، بل إن فيه نسب صفات شنيعة لرب العالمين، مثل الظلم والعبثية والنسيان ... وحاشاه سبحانه وتعالى عن ذلك. فالميت لا شعور له، عكس الحي، ومن في القبر فهو ميت، والميت ضد الحي. ويستحيل تعذيب من كان ميتا، وتجويز ذلك من السفسطة.

---

126 -السنة بين الأصول والتاريخ 43.

ومن السنن الإلهية الكونية، إشكالية وفاة الرسل بالنسبة لأتباعهم، فما أن يتوفى الله عزوجل أحد رسله عليهم الصلاة والسلام حتى ينكص أتباعهم ويصابون بالتيه، وبعضهم ينقلب على عقبيه كما ذكر القرآن{**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**}.

أما ما يسميه المخالف «**سنة**» فهو عند التحقيق غير ذلك، بل هي أحاديث لا سنة كما يزعمون، والفرق بينهما عظيم. لذلك يختلف التعامل مع الأحاديث كما يرى المتتبع لما هو مكتوب، فالأحاديث التي تتحدث عن الفتن والمهدي والدجال وعذاب القبر ... وهي بالألوف، نحن نطويها دون حساسية أو أسى.[127]

مفاهيم خاطئة :

• ابتسامة الميت لا تدل على أنه من أهل الجنة، لأنه بعد الموت ترتخي عضلات الوجه، فيرتخي الفم، ولا يعني هذا أن كل من مات وارتخت عضلاته فستطهر ابتسامته، كلا. لأن هناك أشخاص لا تظهر وجوههم عليها الابتسامة، وقد يظهر الميت عبوسا وليس ذلك بدليل على دخوله النار. فهناك إنسان ضعيف عضلات الوجه وهناك نظيره في القوة وكثرة التصلب.

• سواد الوجه ليس بدليل على أن صاحبه من أهل النار، فقد ينحصر الدم في الوجه فيسود بسبب تجلط الدم وتوقف القلب عن الخفقان، والعكس صحيح.

• يظن البعض أن بعد الموت تتصلب العضلات ولا ترتخي فيما يعرف بالتخشب الموتي، وهذا غير صحيح علميا، حيث أن التصلب مرحلة

127 -السنة ودورها في الفقه الجديد ص 251.

متقدمة بعد الوفاة، وأول المراحل التي يمر منها الميت هي ارتخاء الأعصاب ثم العضلات، وفي الصيف والأجواء الدائفة يصلى على الميت ويدفن وهو لا يزال في المرحلة الأولى من الارتخاء.

• عدم تحلل أجساد بعض الأموات لا يدل على أنهم من أصحاب الجنة، فقد تكون بسبب سنة طبيعية في بعض الأحيان بسبب أنواع التربة ونوعية البكتيريا المحللة وغيرها من الظروف الطبيعية، وتركيب التربة الكيميائية، فكثيرة هي الأراضي المالحة شديدة الملوحة، وهي مفسدة للسدود العملاقة، لشدة ملوحتها، وهذا ما يحمل عليه عدم تحلل بعض أجساد الكفار بعد موتهم. قد يقول قائل : هناك أجساد تحللت وأخرى لم تحلل وهي في نفس المقبرة. نقول : لا توجد حالات مسجلة بذلك، ولو حصل هذا فهو راجع لنوع البكتيريا، زد عليه إفرازات الجسد وتفاعلها مع محيطها.

• تحلل ونتانة ريح الأموات لا يعني أنهم ليسوا شهداء، أو أنهم فساق وكفرة. ولم يثبت أصلا في نقل صحيح عدم تحلل أجساد الشهداء.

• يؤمن البعض أنه بعد مرور 40 يوما من وفاة الميت، تنزل روحه إلى القبر، لذلك سموها «الأربعينية»، فيذهبوا لزيارة الميت في قبره ليتكلموا معه، لأنه حي في قبره في ذلك اليوم !. والبعض الأخر ذهب لأبعد من هذا، فقالوا بأن الروح تعود للميت كل جمعة وليلتها، وفي الأعياد والأيام المباركة .. فتراهم بين الفينة والأخرى يذهبون للمقابر للحديث مع الأموات الأحياء في قبورهم ! وكل هذا مأخوذ من مراسيم المصريين القدامى.

• من الأخطاء المنتشرة بكثرة بين الناس، تسمية ملك الموت ب «عزرائيل» مستندين على ذلك بالإسرائيليات التي نشرها القصاص. فهذا الاسم «عزرائيل» لم يرد في القرآن الكريم إطلاقا، إنما نجده عند اليهودية المحرفة والسيخية، ومعنى الاسم هو «الذي يساعد الله» وحاشاه عزوجل من هذا العبث، لكن المسلمين انكبوا على هذا الاسم كما انكبوا على خرافة عذاب القبر دون فحص وتمحيص.

خوف الضمير :

يقول **شاميران محمد** عن **خوف الضمير** «هو الخوف الذي يجعل الإنسان يمتنع عن التفكير الحر وتبني أي فكرة مخالفة للسائد، وفيه يحاول الإنسان مطابقة معتقدات ضميره مع الجهة المهيمنة أو الشائع السائد في المجتمع، ويرفض أن يعتقد أي اعتقاد ديني أو فكري أو قيمي مخالف لما ورثه من آباءه وما تم تلقينه من الجهات المهيمنة».

إننا نلمس هذا الخوف في مجتمعاتنا العربية بشدة، حيث يمتنع الشخص عن التفكير خارج دائرة الأهل والمجتمع والمحيط، وهذا ما جعل إسلام جل الناس «إسلام عجائز» كما يسميه المفكر **محمد عابد الجابري.**

بعد أن أدرك قصاص هذا الزمن (دعاة، وعاظ، شيوخ ...) ضعف عقول الناس، اطلقوا العنان لألسنتهم وجاؤوا بغث الكلام من التراث وغيره، إلى أن أصبحت هذه العقيدة هي أم العقائد وأصبح الكلام عنها بين الصغير والكبير وفي القنوات وشرائط الفيديو، فأصبحنا نعاني من مجتمعات لا تخشى الله بقدر ما تخاف من الثعبان الأقرع !.

إن **«عذاب القبر»** خرافة ورثناها عن جهل وتقليد أعمى، فلا دليل يقوم عليها أو يجعلها حقيقة، وقد قدمت الأدلة على بطلانها. وهذا الموروث ما هو إلا أقوال القصاص، لا أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، حاول البعض جعلها كعقيدة دينية، وهذا جهد بشري لا وحي إلهي كما يزعم البعض.

من خصائص الثقافات القديمة، خصوصا القرون الوسطى، انتشار الخرافات واللامعقول، بل ومحاربة العقل وكل ما يتعلق به من فلسفة ومنطق ... لذلك ساد - في تلك العصور - تحريم الفلسفة والمنطق وتكفير الفلاسفة، وانتشار الإيمان بالخرافات تحت مسمى «كرامات» أو «معجزات».

انكب الناس على الروايات، سقيمها وصحيحها، والقص دون تمحيص، وكانت هذه المشكلة عامة، تشمل جميع الفرق والملل في القرون الوسطى بلا استثناء، فأصبحت غاية الناس أن يستمعوا لقصص الكرامات والمعجزات التي تتم على أيدي الأولياء والفجار ... وأقبلوا عليها - القصص - بقبول حسن وقلوب خاشعة، فآمنوا بها وكأنها حقائق جلية لا شك فيها، ولم يلتفتوا لظاهرة الوضع والكذب من قبل بعض السفهاء، فأصبحت هذه القصص من المسلمات التي لا يجوز التشكيك فيها وفي مصداقيتها.

المصطلحات :

من الضروري توضيح بعض المصطلحات التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب، خصوصا تلك التي خالفنا في شرحها المتداول بين الناس، وتداولها بهذا المعنى لا يعني صحتها إطلاقا، لذلك وجب ضبط المفردات، خصوصا القرآنية منها، وقد حاولنا أن نجعل القرآن يفسر تلك الكلمات، فإن لم نجد مبتغانا في القرآن، وهذا نادر الوقوع، اتجهنا لكتب ومعاجم اللغة. وقد انطلقنا من القاعدة اللسانية القائلة «**إذا اختلف المبنى اختلف المعنى**».

الإنسان : إن لفظ الإنسان يشمل كل بني آدم، ويقع على كل إنسان على حدة.

إن الإنسان عبارة عن **جسد، نفس وروح**. فعن خلق الجسد قال عز وجل **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ}**ثم قال تبارك وتعالى بعدها عن الروح**{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ}**وعن النفس**{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}**.

اختلف الفلاسفة والمتكلمون حول وقوع هذا الإسم - الإنسان - على من ؟. فقالت فرقة يقع على النفس دون الجسد، وقالت فرقة بأنه واقع

على الجسد دون النفس، أما الفرقة الثالثة فقالت بوقوع الإسم على النفس والجسد معا. وقد أوضح أبو الحسن الأشعري هذا الاختلاف الكبير في كتابه «**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**» فأورد 19 رأياً في ماهية الإنسان.[128]

وقد فرق الله عزوجل في كتابه الحكيم بين النفس والروح، وذكر كل واحدة منهما في معنى خاص، فنجد ذكر النفس في القرآن في 126 آية، وجاءت لفظة «النفس» بمعنيين سنشرحهما في **المصطلحات**.

لقد شغلت حقيقة الإنسان الفكر العقلي منذ القدم، وحاول الإنسان أن يعرف نفسه بنفسه، لذلك وجدنا - كما أشرنا في الفصل الأول - أن قدماء المصريين آمنوا بحياة أخروية للنفس، وقد عرض «**كتاب الموتى**» هذه الحياة وما يجري فيها بالتفصيل.

كما ذكرنا سابقا، اختلف المتكلمون والفلاسفة وكل من بحث في الأمر، لدرجة قادت بعضهم للمادية المفرطة، كأبو الهذيل العلاف المعتزلي، والبعض الآخر اتجه للروحية الخالصة، كمعمر المعتزلي، والبقية توسطوا بين المادية والروحية.

وذهب مالك بن أنس والشافعي إلى تحريم التعرض لهذا الموضوع ! وهو قول عجيب وتحريم لما لم يحرمه الله عزوجل.[129]

لقد كرم الله عز وجل بني آدم أجمعين وفضلهم علي كثير من الخلق، فقال عزوجل **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}**. وشمل التكريم البشر أحياء وأمواتا مصداقا لقوله سبحانه وتعالى**{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}**وقوله عزوجل **{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ}**. وفي قصة ابني آدم يقول عزوجل **{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ**

128 -مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص: 329 وما بعدها.

129 -في الفلسفة الإسلامية 1/154.

يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}.

عند خروج النفس - لا الروح - من الجسد، تفقد النفس آليات التواصل مع الحياة الدنيا، لأنها كانت تتصل بواسطة ذلك الجسد المادي، وبعد انفصالها عنه تذهب لوراء البرزخ.

فإن أخذنا جسداً بدون نفسٍ، وأحرقناه أو ضربناه أو رميناه ... فلن تشعر النفس بشيء، وكذلك نفس الأمر للجسد، لأن الإحساس والشعور مرتبط بتزاوجهما معا، أما انفصالهما فإنه يؤدي لما سبق ذكره. والنفس تذهب لمكان - البرزخ - لا إحساس فيه، ولا شعور فيه سواء بالزمان أو المكان، والجسد وإن ظل في عالم المحسوسات، إلا أنه يفقد الإحساس كذلك، لأنه فقد الآليات وذلك راجع لانفصال النفس عن الجسد.

يقول الفخر الرازي «اعلم أن مرادنا من لفظة النفس، هو الشيء الذي يشير إليه كل إنسان بقوله (أنا) حين يقول : أنا فعلت، وأنا أدركت. إذا عرفت هذا، فنقول : العقلاء اختلفوا في حقيقة النفس.

وضبط تلك المذاهب أن يقال : الذي يشير إليه كل واحد بقوله (أنا) إما أن يكون جسما أو جسمانيا، أو لا جسما ولا جسمانيا، أو يكون مركبا من هذه الأقسام تركيبا ثنائيا أو ثلاثيا، فإن كان جسما، فذلك الجسم إما أن يكون هو هذا الهيكل المحسوس، أو جسم حاصل في داخله.[130]

البرزخ :جاءت كلمة **برزخ** 3 مرات في التنزيل الحكيم، **{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَاۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ}**أكد القرآن على أن البرزخ بمعنى **حاجز وحائل**،وهو بين كل شيئين.

130 -الأربعين في أصول الدين 2/18.

إن البرزخ الذي يهمنا هو برزخ سورة المؤمنون، وهو عبارة عن حاجز غيبي، وليس بمكان للعيش والحياة. وقد كنا سابقا، بأنفسنا، وراء هذا البرزخ في موتتنا الأولى**{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}.**

وراء هذا البرزخ، لا شعور بالزمان والمكان**{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}** لذلك فملايين السنين وبضع دقائق، متساوية وراء البرزخ. فالميت في عهد نوح - عليه الصلاة والسلام - والميت قبل البعث بأيام، سيكون لهم نفس الشعور بالزمن يوم البعث **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ} {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا}**والآيات عديدة في هذا الشأن.

إن البعث يأتي بعد رقود وراء البرزخ، باستثناء الأنبياء والشهداءلأن النصوص القرآنية خصتهم بذلك.

الروح :الراء والواو والحاء أصلٌ كبير مطّرد، يدلّ على سَعَةٍ وفُسحةٍ واطّراد. وأصل ذلك كلّه الرّيح، فالرّوح روح الإنسان.[131]

وهي الأمر والتشريع والمعرفة ... وهي التي جعلت من البشر إنسانا، وتفصيل هذا يكون في كتاب قادم إن شاء الله. وللروح عدة معاني أخرى، لكنها تشترك في شيء واحد، وهو كونها أمر من رب العالمين**{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}.**

131 -معجم مقاييس اللغة 2/454.

ويخلط البعض بين الروح والنفس، فيجعلهما واحدا، وهذا خطأ كما ذكرنا ذلك في حديثنا عن الإنسان، واختلفوا حولها كذلك هي والنفس كما اختلفوا في ماهية الإنسان، كما أشار ابن عبد البر في التمهيد والأشعري في مقالات الإسلاميين.

فلكل واحدة منهما معنى مختلف عن الأخرى، يقول السهيلي «يدل على مغايرة الروح والنفس قوله تعالى {**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**} و {**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**} فإنه لا يصح جعل أحدهما موضع الآخر، ولولا التغاير لساغ ذلك».[132]

ولأحمد بن الحسين الكندي نظم حول هذا الاختلاف، يقول فيه :

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم   إلا على شجب والخلف في شجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء في العطب

وفي بعض الأحاديث المنسوبة للنبي ظنا، نجد «والذي نفسي بيده» أو «والذي نفس محمد بيده» فهذا دليل وإلزام على أن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان يعلم الفرق بين الروح والنفس واختلافهما عن بعضهما البعض، وأن النفس هي التي تموت لا الروح، كما يزعم البعض.

النفس :النون والفاء والسين أصلٌ واحد يدلّ على خُروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجعُ فروعه. منه التَّنَفُّس : خُروج النَّسِيم من الجوف.[133]

لها معنيان : 1- كل كائن عضوي حي يتنفس، وهذه هي النفس التي تموت {**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**}

132 -فتح الباري 8/403.

133 -معجم مقاييس اللغة 5/460.

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} والآيات للمثال لا الحصر.

2- النفس الإنسانية، وهي مجموع المشاعر والأحاسيس، الفرح والحزن الحب والكره الراحة والألم النفسي ... وهذه النفس هي المرتبطة بمجال الطب النفسي.

وهذه الأشياء غير مادية فلا تتحلل كالجسد، لذلك فهي تتوفى ولا تموت، والانفصال بين معنى النفسين يحصل في المنام **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.**

جاءت كلمة «النفس» ومشتقاتها في القرآن الكريم 295 مرة، أما كلمة «الروح» فقد جاءت 23 مرة فقط، وهناك فرق كبير بين اللفظتين. فالنفس تختلف عن الروح بدليل قولنا قتلت النفس وزهقت الروح، لأن الروح لا تموت ولا تقتل.[134]

الجسد :الجيم والسين والدال يدلُّ على تجمُّع الشيء أيضاً واشتدادِه. من ذلك جَسَدُ الإنسان. والمِجْسَد : الذي يلي الجسد من الثّياب.[135]

134 -الفلسفة الانسانية في الإسلام لسهير فضل الله 53.

135 -معجم مقاييس اللغة 1/457.

واختلف أهل الكلام حول ماهية الجسد إلى 13 رأياً.[136] أما القرآن فيقول أن الجسد آلة النفس، الذي تتحكم النفس فيه وتسيطر عليه وهي مسؤولة عنه في كل ما أوكل إليها بشأنه.[137]

يومئذ واليوم : غالبا ما جاءت كلمتا «اليوم» و«يومئذ» في القرآن الكريم بمعنى يوم القيامة، ولم تأتيا بمعنى يوم الموت أو يوم الحساب في القبر، يقول عز وجل **{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} {مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.**

وجاءت كلمة «اليوم» في مواضع أخرى من القرآن بمعنى يوم ما في الحياة الدنيا، مثل قوله تبارك وتعالى **{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ}.**

القبر :القاف والباء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلّ على غموضٍ في شيء وتطامُن. من ذلك القبر : قبر الميّت. يقال قبرته أقبُرُه. فإن جعلت له مكانا يُقبرُ فيه قلت : أقبرته.[138]

حفرة وبناء جماد، ومن السنن الكونية أن كل جماد لا يتحرك إلا بمحرك خارجي، والقبر يبقى على حاله ما لم تهدمه ظواهر طبيعية،

136 -مقالات الإسلاميين، ص: 301 وما بعدها.

137 -إنذار من السماء 455.

138 -معجم مقاييس اللغة 5/47.

كالزلازل والفيضانات، أوتدخل بشري أو حيواني، كالحفروالهدم، ويقع على الجسد ما يقع على جميع المواد العضوية، فيتحلل أينما كان، سواء في القبرأم لا.

ومن سنن البعض، حرق الموتى ووضعها في وعاء، فيصبح الوعاء هو قبرالميت. فهل لهذا الميت «ثعبان أقرع» و«منكرونكير» وقبريلتئم عليه ؟! أم هذا خاص بالمسلمين فقط ؟.

الحلم :الحاء واللام والميم، أصولٌ ثلاثة : الأول ترك العَجَلة، والثاني تثقُّب الشيء، والثالث رؤية الشيء في المنام.[139]

هو مجموعة من الصور التي يراها الإنسان وهو نائم، وغالبا ما تكون هناك تخيلات في الحلم لا يعيها الحالم نفسه. وبما أنها مجموعة صور متداخلة بين بعضها البعض وغيرمرتبطة فإنها توصف بالأضغاث**{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍۖوَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ}.**[140]

الخرافة :حسب لسان العرب لابن منظور، فالخرافة هي الحديث المستملح من الكذب. وقالوا : حديث خرافة، ذكر ابن الكلبي في قولهم حديثُ خُرافة أَنَّ خُرافةَ من بني عُذْرَةَ أَو من جُهَيْنةَ، اخْتَطَفَتْه الجِنُّ ثم رجع إِلى قومه فكان يُحَدِّثُ بأَحاديثَ مما رأي يَعْجَبُ منها الناسُ فكذَّبوه فجرى على أَلْسُنِ الناس.[141]

خرافة : رجل من بن عذرة، غاب عن قبيلته زمنا ثم عاد فزعم أن الجن استهوته وأنه رأى أعاجيب جعل يقصها عليهم، فأكثر، فقالوا في الحديث المكذوب «حديث خرافة» وقالوا فيه «أكذب من خرافة» حتى

139 -معجم مقاييس اللغة 2/93.

140 -انظر دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم.

141 -كما ورد ذلك في «العباب الزاخر» وغيره من المعاجم.

سمى الحريري الكذب خرافة، فقال في المقامة الرابعة : فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته.[142]

الخرافة حديث مستملح مكذوب، والخرافة : أحاديث باطلة، واعتقادات واهية.[143]

الخرافة هي الاعتقاد أو الفكرة القائمة على مجرد تخيلات دون وجود سبب منطقي أو سمعي أو عقلي ... مبني على الدليل والبرهان العلمي. وقد تكون الخرافات دينية، ثقافية، اجتماعية، شخصية ...

تنشأ الخرافة لعدة أسباب أهمها : تغييب العقل، تغليب العاطفة، الحاجة إليها، عدم وجود استقرار نفسي واجتماعي (على مستوى الفرد والجماعة) ... إلخ.

وتنتشر بسرعة بين الناس، خاصة إذا تم إعطاؤها صبغة دينية قدسية، وإذا ما كانت هذه الخرافة ذات محتوى تخويفي ترهيبي (مثال : عذاب القبر، المسيح الدجال).

في غياب قواعد المنطق وأفكار الفلسفة والتفكير العلمي، يخضع جمع من الناس للخرافات، يقول **ابن عقيل الحنبلي** «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم».

إن القرآن الكريم مليء بأمثلة عن خرافات الناس والرد عليها بالمنطق والعقل، من قبيل قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام **{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَىٰ**

---

142 - «خرافة» موسوعة الأعلام للزركلي.

143 -المعجم الغني.

أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ}.

ومن المفارقات العجيبة، أن أمة القرآن الكريم الذي يحارب الخرافة هي أكثر أمة تؤمن بالخرافة وتعتقد بها ! لذلك فإننا بحاجة ماسة للرجوع لكتاب ربنا، ثم دراسة كتب المنطق والفلسفة والعلم.

الموتى والأموات :

ومن الأخطاء المنتشرة بين الناس، عدم التفريق بين **الموتى والأموات** وبين **الْمَيْتَ والْمَيِّتِ**، وهذا ما سنوضحه بالأدلة القرآنية :

الموتى : هم من ماتوا حقيقة (خروج النفس من الجسد) سواء كانوا كفارا أو مؤمنين **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}{وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} {فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.**

الأموات : لها معنيان، فتارة تأتي بمعنى الموت الحقيقي **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.**

وتارة أخرى تأتي بمعنى موت القلوب (العقول) والعقائد (موت مجازي) **{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ}**. ويقول المخالف أن الاستشهاد بالآية باطل ! لأنها مقيدة وخاصة، فنقول لهم بل هي على العكس من دعواكم، فهي آية مطلقة لا مقيدة كما تزعمون.

الْمَيْتَ : يتضح من النص القرآني أنها مفردة (الأموات) فهي كذلك بنفس معنى الأموات، فمرة تعني الموت الحقيقي **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}**.

ومرة تعني الموت القلبي (موت العقل) **{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**.

وهذا مشابه لقوله عز وجل : **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**.

الْمَيِّتِ : هي مفردة (الموتى) وتعني الموت الحقيقي وهو للجميع مسلمين ومجرمين **{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}**.

بعد التفريق بين معني الموتى والأموات نجد عظمة قوله عزوجل **{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}**، فالآية تتكلم عن الموتى الحقيقيين وعطف عليها الكفاركتشبيه وتماثل، وإلا لأصبح في قوله عزوجل حشووهذا محال، فهم يقولون أن الآية تقول **(إنك لا تسمع الكفارولا تسمع الكفار إذا ولوا مدبرين) !!** وهذا بعيد عن قول الله عز وجل بل هو أقرب لقول الشيطان. فالله عزوجل يضرب مثلا ويشبه الكفار بفاقد السمع ومن هو في القبر،لأن الأصل في المشبه به أقوى من المشبه، وأقوى منه خصوصافي الاتصاف بوجه الشبه، ووجه الشبه بين طرفي التشبيه شدة الاتصال بينهما وعدم المفارقة، تحديداً في الأمر المشبه به.

وقد وقف علماء اللغة على القوة التأثيرية للتمثيل، فقال **الجرجاني**عن الطاقة الاقناعية للتمثيل في النصوص «وأعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصارفي معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ... وإن كان ذما مسه أوجع، وميسمه ألذع ...».[144]

وقارب **العسكري** بين وظيفة الاستشهاد والحجاج وبين التمثيل بأن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على القول الأول، والحجة على صحته ... وتدخل أكثرهذه الأمثلة في التشبيه،[145] فالتمثيل عنده - العسكري - يصل لمرتبة الشاهد الذي يهدف للتوضيح بتقريب المعنى وتمثيله.

قال **الزمخشري** في تفسيرالآية **{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}** يشبه أن يكون تعليلاً آخرللتوكل، فما وجه ذلك ؟! قلت : وجهه أن الأمربالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالأذى

144 -أسرار البلاغة ص 105.

145 -الصناعتين ص 416-419.

والعداوة فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه، فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى، وهم أحياء صحاح الحواس : لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم، وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصمّ الذي ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل.

فإن قُلْتَ : ما معنى قوله **{إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}** قُلْتُ : هو تأكيد لحال الأصم؛ لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولى عنه مدبراً، كأن أبعد عن إدراك صوته.[146]

لذلك فمن العجيب أن هؤلاء يقولون أن الميت وفي قبره، يسمع قرع النعال ! ويسمع تلقين الشهادة والأجوبة التي يجب أن يقولها لمنكر ونكير !! والخرافات كثيرة حول هذا لا يتسع المجال لذكرها، ولا يوجد دليل في القرآن - أو حتى الأحاديث التي يؤمنون بها - على أن الموتى يسمعون، بل إن النصوص القطعية - كما وضحنا - تدل على عدم سماعهم. ومسألة تلقين الميت بعد الدفن بدعة لا أصل لها،[147] ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يلقن الميت كما يفعل الناس اليوم ومنذ مدة طويلة.[148]

والميت لا إدراك ولا دراية ولا شعور له، ومن فقد هذه فكيف سيشعر بالعذاب أو النعيم ؟ فالحس وأدواته مفقودة ومعطلة، وترجع مرة أخرى يوم البعث، لا في القبر كما ذهب البعض من هؤلاء. ونعجب كثيراً حينما نجد من يتفق معنا في مسألة ذهاب الإدراك والشعور،

146 -الكشاف 790.

147 -الفتاوى العز بن عبد السلام ص 96-95.

148 -زاد المعاد 1/208.

ومع ذلك يقول بأن الميت في قبره يعذب ويشعر بذلك ! وهذا تناقض واضح لا محالة.

وقد كذبت عائشة - حسب الروايات - هذه الدعوى الباطلة، ويتضح أن البخاري كذلك ذهب لهذا الرأي، فبعد أن ذكر الروايات التي تقول أن النبي عليه الصلاة والسلام خاطب الموتى، وضع بعدها مباشرة رواية عائشة وهي تكذب ذلك، فعائشة قالت «إنما النبي قال إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق،وقد قال تعالى **{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ}**».[149]

ووضحنا أن الله عزوجل نفى سماع الميت أو من في القبور كما في الآيات السابقة، فالموتخلاف الحياة وهو فصل النفس عن الجسد، وتذهب النفس وراء البرزخ أما الجسد فيعود للتراب، سواءً في القبر أم لا. والموتى لا يشعرون ولا يحسون ولا إدراك لديهم**{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}**.

وينكر عدد من الفقهاء والشيوخ سماع الأموات - رغم ورود أحاديث تفيد السمع رغم تعارضها مع القرآن تعارضاً ظاهراً، وقد عدها البعض من أقوى مسائل التعارض بين الحديث والقرآن - خصوصاً الأحناف منهم وبعض السلفية، ونلزمهم بما قالوا وذهبوا إليه فنقول :

إذا كان الميت لا يسمع كما تقولون -وبه نقول -وتنفون ذلك عنه، فكيف تثبتون إحساسه بعذاب سيقع عليه في القبر ؟!!. فالجسد الذي لا يسمع لأنه أصبح رميماً، يلزم ألا يشعر ولا يحس من باب أولى، لذلك نلزمكم بقولكم وما تذهبون إليه.

فأنتم تستدلون في مسألة السماع بزوال الجسد تحت التراب وتحلله، لكنكم تتناقضون في مسألة عذاب القبر، وتؤمنون بنزول عذاب على نفس الجسد الذي قلتم هو إلى زوال ولا إدراك لديه بعد الموت. لذلك فإن تناقضكم ها هنا دليل على ضعف ما تذهبون إليه وبطلانه من عدة أوجه.

149 -صحيح البخاري 1371.

القرآن ينكر عذاب القبر :

لقد ذكر الله عزوجل العقائد والإيمانيات في كتابه الكريم، ولم يتركها للظن، فنجد قوله عزوجل**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**ويقول جل وعلا**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}** ولا وجود لعذاب القبر ضمن هذه الإيمانيات والعقائد، بل ولا ذكر له - في القرآن - ولو بإشارة، فمن أين جاء بها هؤلاء ؟!. ولا توجد في القرآن آية واحدة فيها ذكر لعذاب القبر، بل هناك آيات على نفيه وخلافه ومناقضته، والروايات تقول بالتعوذ من عذاب القبر، لكن القرآن لا يعترف بذلك، ويأمرنا بالتعوذ من عذاب يوم القيامة، وسنفصل هذا فيما هو قادم.

ويحق لنا أن نسأل هنا، كيف لكتاب الله وهو عزوجل الذي قال عنه بأنه **{تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}** وقال بأن فيه ذكرنا، وذكر سبحانه وتعالى منظومة العقائد بأكملها في كتابه ... لم يذكر لنا هذه العقيدة العظيمة ؟! خصوصاً وأن الله عزوجل ذكر جميع العقائد في كتابه الكريم حصراً.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا اختلاف بين الشرائع الإلهية كلها، والأنبياء جميعهم من نوح وإلى الخاتم محمد عليهم السلام، في أركان العقيدة وما يجب الإيمان به. إذ كل نبي منهم قال بأركان للعقيدة متماثلة متشابهة، دون زيادة أونقصان، وهذا راجع لنفس المصدر الذي يتلقون منه، ألا وهو الله عزوجل. وأركان هذه العقيدة هي :

1- الله عز وجل وما يرتبط به من مباحث، كالوجود والتوحيد والتنزيه والتقديس ... .

2- النبوة وما يتعلق بها من مباحث، كالنبوة العامة والخاصة والعصمة ... .

3- اليوم الآخر وما يتعلق به من مباحث، كالمعاد والحساب والجزاء .... .

والعجيب في الأمر أنه لا يوجد ذكر لعذاب القبر البتة ضمن ما سبق طرحه، ولم نجد له قولاً في أية شريعة، ولم نجد نبياً قال به. كل ما في الأمر أنه دعوى نُسبت - زوراً - للنبي الخاتم سلام الله عليه.

وإننا نؤمن بالله عز وجل وبالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين، فهذه هي الأمور التي يلزمنا الإيمان بها، مصداقا لقوله عز وجل**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**.

فجعل الله عز وجل الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، قال عز وجل **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}** ولا يوجد ضمنها عذاب القبر، فمن أين جاؤوا به ؟!.

فإن قال أحدهم جئنا به من الأحاديث، قلنا الأحاديث التي تستدلون بها أصلاً آحاد، وكما ذكرنا سابقا، فالذي عليه أغلب الأصوليين هو أن

أخبار الآحاد لا تفيد العلم، وإنما تفيد الظن، ولا يمكن إثبات العقيدة بالظن، وأصول الاعتقاد واضحة في القرآن الكريم، ولا توجد خارجه.

ومن أعظم شواهدنا قوله عز وجل **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}** فمن علامات الزيغ، الجدال في القرآن. وهذا الجدال مقيد باتباع المتشابه، فإذاً الذم إنما لحق من جادل فيه بترك المُحكم، وهو أم الكتاب ومعظمه، والتمسك بمتشابهه.[150]

ربما يكون المنطلق الأول الذي بدأ فيه تشويه التراث السلفي للحقائق العقدية هو عدم إعمالهم للتفريق بين المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، أو خلطهم بينهما، وسبب ذلك هو عدم رجوعهم للراسخين في العلم، والذين ذكر القرآن أنهم هم وحدهم الذين يستطيعون التفريق بينهما **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}**.

وموقف أهل السنة والجماعة من أخبار الآحاد معلوم، بالأخص تلك التي لا توافق الكتاب والعقل والسنة والأحاديث ... فهي ظنية، والله عز وجل نهى عن اتباع الظن.[151]

ويشاغب هؤلاء بأخبار آحاد، لا تنهض دليلاً لوحدها، حسب قواعدهم وإلزاماً لهم، فكيف إذا تعارضت مع القرآن الكريم وتعارضت مع المعقول والمسموع معا ؟!. وكما أسلفنا الذكر، فالآحاد ليس بدليل، لذلك تسقط الأحاديث المستند عليها كونها ليست أدلة من الأساس.

وفي بعض الأحاديث المنسوبة للنبي - عليه الصلاة والسلام - لا تجد ذكراً لعذاب القبر فيما يجب الإيمان به، مثل أحاديث سؤال **جبريل** - عليه

150 -الاعتصام 1/54.

151 -التراث السلفي تحت المجهر 24-25.

السلام - النبي، ما الإيمان وما الإسلام ... وهي في جميع كتب الحديث، سنة وشيعة وإباضية.

قد يقول قائل : لماذا استدللت بالأحاديث وهي آحاد ولا تثبت عقيدة، كما ذكرت سابقا.

أقول : إنني لا أقدم هذه الروايات للاستدلال، بل لإلزام المخالف بما ألزم به نفسه.

وفي رواية أخرى، منسوبة للنبي يقول «إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا». [152]وهذا الكلام يتوافق مع آيات القرآن الكريم، حيث يقول عز وجل **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}**فهناك تشابه بين الموت والنوم، لكن بقوانين وسنن مختلفة.

وروى أهل التفسير عن مجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغيرهم أن أبي بن خلف جاء إلى رسول الله وفي يده عظم رميم وهو يفتُّه ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ فقال النبي نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم ... ويقال أن أواخر آيات سورة يس نزلت فيه، وما يهمنا من هذا كله هو عدم ذكر النبي عليه الصلاة والسلام لعذاب القبر إطلاقاً، وأقر النبي بما يقره القرآن، وهذا ما نذهب إليه.[153]

152 -أنساب الأشراف، حديث رقم 50.

153 -انظر تفسير الآيات 80-78 من سورة يسفيمعظمالتفاسير.

وفي الحديث المنسوب للنبي ما ينكر عذاب القبر كذلك، ألا وهو حديث «إنما نسمة–نفس - المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرده الله عز وجل إلى جسده يوم يبعثه».[154]

أما مسألة رجوع الروح للجسد مرة أخرى للعذاب أو النعيم ... فهي مأخوذة بحذافيرها من الديانة الزرادشتية، التي تتصور بقاء الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة إلى جانب الجسم، منعمة بنعيمه أو معذبة بعذابه. وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح، إما معطرة إذا كان الميت خيّراً، وإما نتنة إذا كان شريراً، فتحملها إلى موضع يلتقي فيه إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مفزعة. وليست الأولى فتاة حقيقة، ولا الثانية عجوزاً حقيقة. وإنما هي صورة أعمال الميت. وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث معبر الحساب والحكم الأخير. وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم (ميترا) وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت، وفي الأخرى سيئاته، وبناء على صعود إحدى الكفتين أو هبوطها، يصدر الحكم على مصير هذا الميت.[155]

هذا الاعتقاد منسوخ من عقيدة المصريين القدامى، ثم تمّ نسخه عند أهل الإسلام بصورة طبق الأصل، فالثلاثة الذين يحاسبون الميّت في قبره، بعد رجوع روحه مرة أخرى، هم من يسميهم صاحب عذاب القبر ب: **«منكر ونكير» و «الشجاع الأقرع».**

إن نزول عذاب حسي في القبور، على جسد فقد القدرة على الحس والشعور يخالف المعقول والمسموع، ويخالف سنن الله الكونية، بل إن هذا هو العبث والسفسطة، لأنا نعلم بالضرورة أن من لا يكون حياً يستحيل تعذيبه.[156]

لذلك قال بعض المعتزلة «لو كان لعذاب القبر أصلٌ لكان يجب في

154 -رواه مالك كتاب الجنائز باب جامع الجنائز 568. وابن ماجه 4271. والنسائي 2069.

155 -مشاهد القيامة في القرآن 22-23.

156 -نهاية العقول في دراية الأصول 4/163.

النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب وللمثاب، فكان يشهد عليه أثر الضرب وغيره، وفي علمنا العقلي بخلافه دليل على أن ذلك لا أصل له ولا مدخل للسمع فيه». وقالوا «إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب وإن الميت ربما تفترسه السباع وتأكله».[157]واستدلالهم هذا حقٌ وصوابٌ، فلن يجد من كشف القبر ملائكة تضرب الموتى بمطارق من حديد، ولا وجود لثعابين ونيران ملهبة، ولو وضعوا على عين الميت الزئبق وعلى صدره الخرذل، لوجدوه على حاله دون تغيير، فكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ؟ ونجد مساحته على حد ما حفرناها، لم يزد ولم ينقص ... لذلك قالوا أن كل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقع بتخطئة قائله.

واستدلوا برؤية المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب، ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح ... كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها، وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه ؟ وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه.

وهذا احتجاج معقول من طرف بعض المعتزلة، ونحن كذلك اليوم نرى الموتى ولا أثر عليهم، فلم نرى في مستودع الأموات جثة اختلفت أضلاعها! ولا عن جثة حطم رأسها ... فكيف يستقيم هذا مع الروايات وأدلتهم ؟.

ويقول أهل السنة والجماعة أن إعادة الحياة في الجسد كله أو بعضه ثم تعذيبه ... ليس بممتنع عقلاً، وهو قول صحيح - أي عدم الامتناع - ولاننكره، لكن نذكرهم أنه لا يلزم من عدم الامتناع الإمكانالضروري والوجوب العقلي، ومن أراد الوجوب فلا بد له من دليل، أما الاستدلال بالإمكان فقط فليس بحجة للطرفين معاً، لأن العقل يقف موقف الحياد من الإمكان، فيقبل إمكانية الثبوت وإمكانية الانتفاء على حد سواء.

157 -فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة 201-203.

فالميت لا يُعذب في القبر أو خارجه إن لم يُدفن ولا يُعقل ذلك، إذ يلزم منه القول بعودة النفس مرة أخرى للجسد، ولا دليل على هذا البتةبل إن القرآن على خلاف ذلك، حيث يقول عز وجل **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ}** فلا يقضى عليهم بالموت، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا، لذلك فإنهم يطلبون الموت بدل العذاب **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ}** **{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ}**فهم يرون في موتهم راحة لهم، فكيف يُجوز هؤلاء العذاب على الميت ؟!!.

فإن قيل : إنهم يحيون في قبورهم ليذوقوا العذاب.

قلنا : هذا يخالف صريح القرآن ويناقضه، فالله عز وجل يقول **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**وستصبح 3 حيوات و3 ميتات، وهذا ضرب من الجنون، وافتراء على الجبار العزيز.وما نذهب إليه هو نفس مذهب ابن حزم ومن وافقه، حيث يقول : وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ لأن الآيات تمنع من ذلك، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا، وهذا باطل، وخلاف القرآن الكريم، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء**{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}** **{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**.

وإذا قلنا بأن الروح (الصواب قول النفس) تعود للبدن في القبر فإننا نعارض القرآن الكريم الذي ينص على أن هناك حياتين وميتتين في مثل قوله تعالى **{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}** **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**. الموتة الأولى هي العدم الذي كان الناس فيه قبل أن يخلقهم الله تعالى، والحياة الأولى هي الحياة الدنيا، والموتة الثانية هي الموت بعد هذه الحياة الدنيا، والحياة الثانية هي إحياؤهم يوم القيامة والبعث.

وكما ذكرنا سابقاً، فلا يصح لأي إنسان أن يتمسك بقوله تعالى **{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** مستدلا به على حياة ثالثة لأنه لم يذكر قبله موتاً بل عطف سبحانه وتعالى هذه الجملة على الحياة الثانية ولم يفصل بينهما بذكر موت، كما أن القول بخلاف هذا يعارض الآية الأولى التي قررت أن غاية هذا البيان موتتان وحياتان **{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}**.

وكذلك قوله تعالى **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** فصح بنص القرآن أن روح من مات لا ترجع إلى جسده إلا إلى الأجل المسمى، وهو يوم القيامة.[158]
وهذا ما ذهب إليه ابن عباس، ابن مسعود، الضحاك، قتادة، وأبو مالك ...[159]

ثم إذا كان الميت يحيى كما يزعمون، فلماذا خص الله عزوجل الشهداء بهذا ؟ في قوله عزوجل **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**. فالأصل هو أن الميت لا يحيى إلا بعد النفخ في الصور، والاستثناء هم الشهداء**{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

158 -الفصل 118-4/119.

159 -انظر تفسير ابن كثير الآية 11 من سورة غافر.

أَمْوَاتٌۢ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ} وإلا فلا قيمة لهذه النصوص وهذا التخصيص !.

ونستدل كذلك بقوله عزوجل**{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا}** يقول السعدي في تفسيره : يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، ويسمع ما يقولون **{إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً}** أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير **{إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا}** والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. كما قال تعالى: **{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**. وهذا دليل قوي على نفي العذاب في القبور.

كذلك قوله عزوجل **{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}** حجة على نفي عذاب القبر، فالله عزوجل أمر نبيه بعدم استعجال العذاب لهم، ثم قال عزوجل أن العذاب يوم القيامة، يوم يرون ما يوعدون، وهذا تأكيد على أن العذاب يوم القيامة، ونفي للقول بأن هناك عذاب في القبر.

عندما أخبرنا الله عز وجل عن مسألة الحساب في كتابه الكريم، فقد جاءت المسألة ضمن منظومة كاملة ومتكاملة، مترابطة مع بعضها البعض، تتحدث عن خلق النفس حياتها وموتها .. والنوم، والبرزخ، والبعث والنشور ... لكن لم يأتي ذكر لعذاب القبر، رغم أنه عقيدة وأمر مهم بالنسبة للمؤمن به، وهذا أمر يدعو للاستغراب والاستفهام.

ومن المحال أن يوحي الله عزوجل لنبيه أمور الاعتقاد في القرآن الكريم، ثم يترك أمرا عقائديا مهما كعذاب القبر بدون نص صريح، أو تلميح لهفي

كتابه الكريم، ومن غير المعقول أن يطالب - عزوجل - الناس بأن تؤمن بهذه العقيدة الغير مذكورة في كتابه الحكيم.فبما أنهم يقولون بأنه عذاب إلهي في القبور، فهو أمر يجب ذكره في القرآن لحاجة المسلم بمعرفته والإيمان به، كي يحذره المؤمن ويخشاه ويتقيه. ودعواهم هذه تقود الناس للقول بأن الله عزوجل نسي - وحاشاه -ذكر هذا العذاب العظيم في كتابه الحكيم، وهذا لوحده كاف لتكذيب دعواهم.

وقد وردت كلمة «العذاب» ومشتقاتها حوالي 370 مرة في القرآن، ولم تأت ولا مرة مقترنة بالقبر أو بثعبان أو بمنكر ونكير. بل إنها وردت لتدل على عذاب الآخرة وعذاب الدنيا، ولا عذاب غيرهما.وجاءت كلمة «الدنيا» في القرآن الكريم 115 مرة، وكذلك بالنسبةلكلمة «الآخرة»، ولم يتم ذكر غيرهما أو حياة أخرى بينهما.

لن يجد الباحث في كتاب الله عزوجل أي ذكر لعذاب القبر، ولا لمنكر ونكير أو الثعبان الأقرع، بل سيجد خلاف ذلك. فالله عزوجل يؤكد في محكم آياته أن العذاب بعد الموت هو عذاب الآخرة حصرا، والآيات الشاهدة على هذا كثيرة، نذكر منها **{فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** وقوله سبحانه وتعالى **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** والآيات كثيرةولا يتسع المجال لذكرها.

وفي قوله عزوجل **{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}** دلالة قطعية واضحة لكل ذي عقل، لكن أصحاب القبور يصرون على تكذيب الله عز وجل، فيقولون -باطنا - بل ذلك يكون في القبر بعد الممات، لا في يوم القيامة

كما قال الله. رغم أن الآية تفيد الحصر بدليل قوله عزوجل **{وَإِنَّمَا}** لكن هؤلاء قوم لا يفقهون.

والآيات المشابهة لما سبق كثيرة جدا لا يسع المجال لحصرها جميعا، مثل قوله عزوجل **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** **{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}**. إننا أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن نصدق الله عزوجل، وهذا مسلك المؤمن العاقل. أو نصدق روايات القصاص المخالفة لصريح القرآن، وهذا مسلك المنافق الجاهل.

يحق لنا أن نسأل هل مرحلة القبر قبل الحساب أم بعده؟ وإذا كانت قبل الحساب وفيها العذاب فلماذا يحاسبون - يوم الحساب - وقد تم تعذيبهم ولماذا ينتظرون يوم القيامة وقد بُتّ في أمرهم ؟!.الله عزوجل يؤكد أن العذاب بعد الحساب، والحساب يوم القيامة، لكن هؤلاء يصرون على أن الحساب والعذاب في القبور، وهم بذلك يقولون كما قال من أنكر البعث والحشر بعد الموت.

ومن قام باستقراء آي القرآن الكريم لا يجد فيها ذكراً لعذاب القبر البتة، لا من قريب ولا من بعيد. فإن قال قائل بل هو مذكور بالنص، قلنا له دلنا عليه. فإن احتج بآية آل فرعون وسلمنا له جدلاً، قلنا له الآية غير صريحة ولا ذكر فيها لعذاب القبر، فمن أين استنتجته ؟ وآل فرعون أصلاً لا قبور لهم، والله عزوجل جعل الحساب والعذاب ليوم القيامة، لا ليوم الدفن كما تزعم. وقولك بعودة الروح للجسد يقتضي حياة أخرى بعد الموت، والعلماء الذين تحتج بهم متفقون على عدم وجود حياة أخرى بعد الموت وقبل النفخة، فما هي أدلتك وحججك لمخالفة كل هذا، من قرآن صريح وقطعي وأدلة عقلية ونقلية وأقوال من تُلزم نفسك بآرائهم ... ؟.

ونستشكل عليهم بمسألة وجود أكثر من ميت في قبر واحد، وهذا يقع كثيراً خصوصاً في الحروب أو عند انتشار الأوبئة والأمراض القاتلة، فنفترض أن بعضهم يستحق العذاب والبقية يستحقون الثواب، فهل هذا القبر يضيق أم يتسع ؟! وهل ينزل به العذاب أم تتنزل به الرحمة ؟! ومعلوم بداهة استحالة جمع النقيضين.

ومن الواقع المعاش، أن القبر بعد مدة يتم فتحه لدفن جثة أخرى بدل السابقة التي تحللت وأكلتها الديدان مع الزمن، ولنفترض أن الأول يستحق العذاب والنار، والثاني يستحق الثواب ونزول الرحمة كما يقررون، فهل يصبح هذا القبر قبر عذاب أم قبر رحمة ؟!!.

من الملاحظ والمقطوع به أن الأدلة العقلية والنقلية والواقعية والتجريبية ... كلها تخالف هذا الادعاء - عذاب القبر - الباطل.

إننا الآن أمام امتحان حقيقي، فإما أن نختار قول الله عزوجل، أو نختار أقوال الرجال والشيوخ، وإن ادعوا أنهم مع قول الله عزوجل، فتصديقهم لتلك العقيدة يكذب ذلك، فيلزم من قولهم هذا الاختيار الثاني وهو تقديس آراء الرجال.

وباختيارهم هذا لم يردوا آية واحدة فقط، بل ردوا وأنكروا، بلسان حالهم، حوالي 1900 آية قرآنية، فيها عشرات الآيات المحكمات، قطعية الثبوت والدلالة، فقوله سبحانه وتعالى **{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** قطعي الدلالة، وفيه تأكيد على أن رؤية الأعمال تكون يوم القيامة، لكن هؤلاء يقولون أن رؤية الأعمال تكون في القبور.

وليوم القيامة العديد من الأسماء، مثل يوم الحساب، يوم الجزاء، يوم الدين، يوم البعث، يوم الحشر، يوم الفصل ... **{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا}** على سبيل المثال اسم يوم الفصل، فقد سمي بذلك لأن الله عز يفصل فيه بين الناس باختلاف عقائدهم ومللهم **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ**

هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ففي ذلك اليوم يفصل الله عزوجل بين عباده بالحساب والجزاء، ولا حساب أو جزاء قبل هذا، فمن زعم أن الحساب والسؤال والجزاء في القبور .. فقد كذب الله عز وجل وآياته الواضحة المحكمة والمتشابهة.

{ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا} ذكر الله عزوجل العهد والإنذار بالعذاب، وقال بأنه قريب وهو حاصل يوم القيامة، يوم ينظر المرء ما قدمته يداه، فكيف يكون قبله عذاب هو أقرب منه عهدا وزمنا ؟ ولا يذكره الله عزوجل ؟ ثم يذكر البعيد - حسب ترتيبهم - بأنه قريب ؟!.

فهذه الآية واحدة من الآيات الصريحة التي تنفي عذاب القبر وتناقضه، فالآية تؤكد أن الإنذار بالعذاب مؤجل ليوم القيامة بعد الحساب، ولا يكون في القبور كما يزعم هؤلاء.

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا} إن هذه الآية تنفي عذاب القبر والميت، فمريم الصديقة عليها الصلاة والسلام تمنت الموت للهروب من العذاب والألم الذي شعرت به عند مجيء المخاض. لذلك علمنا أنه لا ألم ولا عذاب في القبر بعد الموت، إلا بعد الحساب يوم القيامة. فإن قيل أن هذا الكلام كلام مريم وخاص بها.

قلنا : صحيح هو كلام مريم الصديقة عليها الصلاة والسلام، وقد أقره الله عزوجل ولم يعترض عليه سبحانه وتعالى. وما ذهبنا إليه بالاستدلال بقول مريم الطاهرة سلام الله عليها أقوى من استدلالكم بغيره.

ويتخبط المُعتقِد بعذاب القبر حين سؤاله عن الجن وموقفهم من العقيدة المزعومة والآخرة، فإما يترك المسألة دون جواب، أو يقدم جواباً

متكلفاًباطنه التهرب. فبعضهم يقول : لا يوجد دليل أصلاً على دخول الجن للجنة ! فانظر رحمك الله لهذا التهافت.

فنقول له : إن القرآن دل على دخول الجن للجنة، لكن الذي هجر واستبدله بكتب لا تسمن ولا تغني من جوع قد ضل الطريق للهداية. فالقرآن الكريم يقول**{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}** **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}** والخطاب هنا عام شامل للجن والإنس.

وبما أن سورة الجن أكدت لنا أن فيهم المؤمن والقاسط **{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}**وأكدت لنا القاسط كان لجهنم حطبا، والآيات التي تؤكد دخولهم النار عديدة لا داعي لذكرها هنا، فهذا يدل على أن المؤمن منهم في الجنة، فالشيء يعرف بضده. ونستدل بقوله عزوجل **{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ}**والآيات صريحة وواضحة في أن من استجاب لربه وآمن به .. فله الجنة، وجوزي بمغفرة الذنوب.

وهنا نلزم الطرف الآخر بما ألزم به نفسه، ألا وهو قول الجمهور، فالجمهور قال بهذا الرأي إلا الأحناف، قالوا بأن الجن تصير ترابا كحال البهائم. فانظر كيف يدلسون ويتهربون مما ألزموا أنفسهم به.[160]

ومن الأدلة القطعية على عدم وجود عذاب القبر، قوله جل وعلا **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَقَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَإِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَفَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}** فالآية تؤكد وبشكل قطعي أن الكفار، وهم من يستحقوا العذاب أكثر من غيرهم، سيتساءلون من ذا الذي بعثهم

160 -انظر المبدع في شرح المقنع، مجموع الفتاوى، النبوات، الفتاوى الحديثية.

من مرقدهم ؟! ومن كان راقدا لم يكن يعذب، كحالة أصحاب الكهف ومن أماتهم الله ثم أحياهم. ولا شعور لمن كان في حالة رقود بالمكان بل ولا شعور مادي له، ولا شعور له بالزمن في الفترة ما بين الموت والبعث، فهي تماماً كفترة قبل الولادة، فلا أحد منا يذكر أو يتذكر تاريخنا قبل الولادة والخروج للحياة الدنيا حينما كنا في البرزخ.

إن سياق الآيات ينكر عذاب القبر، لأنه يؤكد أن العذاب في الآخرة وبعد الخروج من الأجداث، فيقال من بعثنا من مرقدنا - تعجبا - وكأنهم كانوا نائمين في قبورهم، فلا عذاب هناك كما يزعم هؤلاء. بل العذاب بعد النفخ في الصور وإحضار الجميع **{إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}** فيقف الجميع منتظرين حسابهم وجزاءهم، ثم بعد ذلك يذهب أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار، ويلقى كل جزاءه بالعدل كما أخبرت بقية الآيات **{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}** وكل هذه المواقف لا نعلم عن حقيقتها شيئا إلا ما ورد في كتاب الله عزوجل.

وإذا ما رتلنا الآية مع الآيات التي تشبها، لتبينت لنا الصورة الأكيدة أن العذاب بعد الخروج من الأجداث، فنجد قوله تبارك وتعالى **{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ}** **{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ}** **{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}**. إن وعد الله صادق **{رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}** لذلك فإننا نقول ما قاله القرآن، وننكر ما أنكره القرآن الكريم. فالآيات تتفق على

حقيقة جلية لمن كان له قلب، وهي أن الله عزوجل توعد الكافر بالعذاب بعد خروجه من الأجداث، لا قبله كما يزعم الطرف الآخر.

ولو كان في قبورهم عذاب لما كرهوا البعث من مرقدهم وقالوا **{يَا وَيْلَنَا}**، فاتضح أن البعث أشد عليهم من مرقدهم، وقولهم مرقدنا فيه دلالة واضحة على طمأنينة ورقود ... لا عذاب وجحيم ونار ... وكل من يؤمن بعذاب القبر وجد صعوبة في تفسير هذه الآية، حيث أن ظاهرها وباطنها ينفيان عذاب القبر.

ومن الآيات المنكرة لعذاب القبر، قوله جل وعلا **{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}**فالله سبحانه وتعالى يؤكد لنا بأنه ليس بغافل عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، وذلك يوم القيامة قطعا.وهذه الآية تشابه قوله عزوجل **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}**و **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}**. يؤكد سبحانه وتعالى وبشكل قطعي، أنه يؤخر الناس عموما لأجل مسمى، وهو يوم القيامة. لكن أصحاب الخرافات يعارضون هذا ويكذبونه، بقصد أو بغير قصد، ويقولون أن ذلك حاصل في القبر أولا، لا يوم القيامة كما أكد سبحانه وتعالى.

ونستدل كذلك بقوله عزوجل **{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}**ولو كانت هنالك حياة في القبور، كما يزعم هؤلاء، لوجب أن يذوقوا موتتين لا موتةً واحدةً. فعلمنا بطلان ما يدّعون، فتأمل رحمك الله.

فإن قيل أن الله تعالى أحيا بعض الأموات كما دل على ذلك القرآن. قلت : لقد أجبنا عن هذا سابقا بكلام ابن حزم، فهؤلاء خصهم القرآن الكريم، وقياس هؤلاء على البقية باطل ولا يجوز.

ونستدل بقوله عزوجل **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** وعجيب أمر من يؤمن بعقيدة عذاب القبر، فالمجرم الكافر يوم تقوم الساعة يقسم أنه لم يلبث غير ساعة بعد موته، فيجيبهم أهل العلم والإيمان بل لبثتم زمناً طويلاً لكنكم لم تشعروا به، وهذا راجع لعدم الشعور بالزمن ولعدم امتلاك الآليات لذلك، ولا يذكر المجرم أيّ عذاب للقبر كما يزعم الغير، وحالهم هذا - المجرم الكافر -كحال غير المعذبين الذين يخبرون عن منامهم**{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}**.

يخبرنا الله عزوجل في محكم آياته أن النار هي جزاء أعدائه **{ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}**، وهذه النار تكون في دار الخلد لا في الحياة الدنيا كما يزعم البعض. وتنفي هذه الآية عذاب القبر، شأنها شأن باقي الآيات، لأن الله عزوجل يخبرنا بوجود عذاب واحد فقط بعد الموت، ألا وهو نار جهنم، ولو كان هناك عذاب آخر مع العذاب السابق، لوجب ذكره في القرآن الكريم وآياته، لأن

السياق في الآية السابقة يفيد الحصر، فعلمنا أن ما تمّ ذكره هو الحقيقة، وما لم يذكر يعتبر إضافة بشرية على الله عزوجل وكتابه.

وكذلك قوله عز وجل**{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}** يفيد نفي عذاب القبر، فلو أصابهم شيء من عذاب القبر لما حلفوا وحسبوا أنهم على شيء في البعث.

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}يخبر عزوجل أن جزاء الكفار يكون اليوم، واليوم تعني يوم القيامة، لذلك علمنا أن أنه لا عذاب قبل يوم القيامة والحساب. ونقول : هل عذاب القبر جزاء ؟ فإن قالوا نعم. قلنا لهم كذّبتم الآيات التي حصرت الجزاء ليوم القيامة. وإن قالوا ليس بجزاء، قلنا لهم ها أنتم هؤلاء نفيتموه كما فعلنا، فانظر لهذا التخبط.

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} والوعيد ليس في القبر أو البرزخ، بل هو بعد النفخ في الصور، والآيات التي تدل على هذا كثيرة، وهي تقوي مذهبنا ورأينا**{رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}.**

ونستدل بقوله عزوجل **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ}** على أن الميت لا يُعذب ولا يتألم، لأن موتهم يعني توقف العذاب، فالميت لا يتعذب بصريح القرآن والمعقول.وهناك العديد من الآيات التي تؤكد هذا كالآية 74 من سورة طه**{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا**

يَحْيَىٰ} والآية 56 من سورة النساء{**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**}. فهي صريحة وقطعية بخصوص عدم موت من يُعذب،فالموت يلغي العذاب، ونضج الجلود وذهابها يلغي الشعور، ولا حجة للمخالف في الحيدة عن هذا الحق الإلهي.

لقد وعد الله عز وجل - ووعده الحق- إبليس بتأخيره إلى يوم البعث{**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**} {**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**} {**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**}. فكيف يعقل أن يترك الله عزوجل إبليس دون عذاب في القبرويؤخره إلى يوم القيامة، لكنه يعذب البشروأتباع إبليس في القبور ؟. فالله عز وجل يقول {**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} فالآية واضحة وتؤكد أن الخصام والعذاب يكون بعد الحساب لا قبله، ويوم القيامة لا في القبور. وهذا ما يتضح في قول المولى تبارك وتعالى {**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**} {**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ**

مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}.

إن الكافر، منذ عهد نوح وإلى عهد محمد عليهم الصلاة والسلام، ينكر ويستغرب عدة أمور غيبية أخبر بها الرسل، ويسخر من دعاوى الأنبياء وقولهم بالمعاد والبعث والحساب ... وقد سجل لنا القرآن كل هذا، فما إن يقول رسول لقومه أن هناك بعث بعد الموت، وهناك حساب وجزاء، وجنة ونار ... حتى نجد الكافر يسخر من ذلك وينكره، يقول عز وجل **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** والآيات عديدة حول هذا الأمر.

فلو افترضنا جدلا أن الرسل قالت أن هناك عذاب في القبر، وهذا محال وغير معقول للأدلة العديدة التي تمنع ذلك، لأنكر الكافر ذلك واستغرب وسخر منهم ومن دعواهم، ولسجل لنا القرآن هذا الأمر. فأمر عذاب القبر يستوجب الانكار والسخرية أكثر من عذاب الآخرة والبعث.وقد رد الله عز وجل على دعوى الكفار بإنكار البعث والعذاب، يقول عز وجل **{وَقَالَ الَّذِينَ**

كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} {وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ} {وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}.

ولم يذكر الله عزوجل عذاب القبر في هذه الوعود السابقة، ولو كان العذاب في القبر حقيقة، لوجب ذكره أولا أو ذكره ضمن المنظومة السابق ذكرها.

ويحق لنا أن نسأل هنا، كيف لكتاب الله وهو عزوجل الذي قال عنه بأنه **{تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}** وقال بأن فيه ذكرنا، وذكر سبحانه وتعالى منظومة العقائد بأكملها في كتابه ... لم يذكر لنا هذه العقيدة العظيمة ؟. خصوصاً وأن الله عزوجل ذكر جميع العقائد في كتابه الكريم ولم يتركها للقيل والقال، وذكر جهنم والعذاب والجنة والجزاء والحساب ... !.

أمرنا الله عزوجل، وفي عدة آيات، أن نتعوذ من عذاب النار أي عذاب الآخرة، وأن هذا التعوذ هو قول عباد الرحمن**{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ**

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}. ولا نجد ذكرا لعذاب القبر أو الأمر بالتعوذ منه، لأنه ليس بحقيقة ولا وجود له، بل هو خرافة مزعومة تم ربطها بالدين إكراهاً.

كان للقرآن الكريم اهتمام عظيم بالآخرة وبيان أحوالها، وركز بشكل كبير على ثنائية العذاب في الدنيا والآخرة، وكذلك ثنائية الجزاء الجنة وجهنم. وهذا ما جاءت به رسالة الإسلام من نوح وإلى محمد عليهم صلوات ربهم بمختلف شرائعهم. والعجيب في الأمر أن الآخر يتفق معنا على هذه الأصول بلا ريب، وهم الذين قالوا «**إن الأصل في الجزاء في الشريعة هو جزاء الآخرة**» وعند التطبيق خالفوا الأصول التي نظروها بادئ الأمر.

إن المتأمل في ثنائية الثواب والعقاب في جميع النصوص المقدسة لجميع الملل، يتبين له وجود صنفين من العذاب لا ثالث لهما، الأول دنيوي والثاني أخروي،ولا عذاب غيرهما أو بينهما، مع تأكيد القرآن على عدم وجود حياة بين الموت - باستثناء الشهداء - والبعث **{ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}** **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}** **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا**

الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، فهذا ثابت عندنا بيقين - يقين قرآني - فلا يزول إلا بيقين أقوى منه أو مثله لا بالشك والظن.

وقد بين الله عز وجل ما يقع للميت بعد موته دون ذكر لعذاب القبر، والعذاب واقع يوم القيامة لا قبله، بدليل قوله عز وجل **{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}** و **{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** وغيرهما من الآيات العديدة التي تؤكد هذا.

إن من يدعي عرض الأعمال والحساب في القبور، معاند أو جاهل بالقرآن الكريم وكلام الرحمن الرحيم، فالله سبحانه وتعالى يقول **{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}**، والعرض لا يكون إلا في يوم القيامة، ومن أسماء يوم القيامة »يوم العرض«، فتأمل معاندتهم لصريح القرآن، فكتاب الحكيم الخبير يعلو ولا يعلى عليه، لذلك فلا نعارضه بشيء ولو نسبوه لجميع الأنبياء والرسل عليهم صلوات ربهم.

ويؤكد القرآن بشكل متكرر وقطعي أن الحساب فردي في الآخرة، يقول عز وجل **{وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}**، ومعلوم بداهة استحالة العذاب دون حساب، والآيات التي تؤكد ذلك كثيرة منها أواخر سورة الزلزلة، وقد ذكرناها كثيراً فلا حاجة للتكرار.

والقرآن الكريم قرر وبالقطع أن العبد لا يُسأل إلا يوم الحساب، والآيات على ذلك كثيرة وقطعية الدلالة، ومع ذلك يخالفها الطرف الآخر دون أن يقشعر جلده !.

من الأمور الثابتة والمؤكدة أن فكرة عذاب القبر ليست فكرة إسلامية وليس لها علاقة بالرسالة الإلهية التي أتى بها رسولنا محمد عليه السلامبشيراً ونذيراً ليبلغ تلك الرسالة للناس كافة. فهي رسالة الله الدائمة للعالمين.

لكن هذه البدعة ظهرت في الإسلام بعد الفتنة الكبرى التي كان من نتائجها تفرق المسلمين وانقسامهم شيعاً وطوائف، كانت من أكبرها طائفة السنة التي انقسمت أيضاً في نهاية العصر العباسي إلى المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة.[161]

بعد كل ما سبق، يتضح أن القرآن الكريم بريء من هذه العقيدة المزعومة، وليس في القرآن ذكر لها أو التنصيص عليها، إنما هي خرافة تطورت عبر آليات وأقوال رواة وفقهاء القبور، تأثرا بالثقافات السابقة، خصوصا الثقافة المصرية القديمة ومن نقل عقائدها وأفكارها.ويزعم هؤلاء أن العقائد غير مرتبطة بالعقل البتة، وهذا غير صحيح، فالعقائد الإيمانية الغيبية مرتبطة بالدليلين العقلي والشرعي معا، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لذلك وضح الله سبحانه وتعالى العقائد وما يرتبط بها في القرآن الكريم، ولم يتركها عزوجل للقيل والقال أو للعنعنة.ولا عبرة بأي حديث أو رواية أو أثر خالف هذه الأصول القرآنية الواضحة المحكمة.

لقد قدمنا الأدلة القرآنية والعقلية التي لا يخالفها إلا مستكبر أو جاحد، وقد أتى المخالفون بأقوال ثم راموا رد كلام الله عزوجل، ونسبوا لنبيه عليه الصلاة والسلام الأكاذيب والخرافات، وهذا هو الباطل الذي لا يحل، ولا يقبله العقل.

لا ذكر لعذاب القبر في كتاب الله البتة، ويستحيل حسب أصولنا أن يتقوله النبي عليه الصلاة والسلام أو يبتدعه كعقيدة من عند نفسه، أما ما ينسبونه للنبي زوراً فكلام لا يقبله المنطق ولا العقل، وحسبك قصة اليهودية التي جاءتنا بعقيدة عذاب القبر !!.

إن عقيدة الحساب والجزاء في القبور، هي عقيدة من لا يؤمن بالبعث والمعاد، وانكب عليها القصّاص وأعطوها صبغة دينية بنسبتها للنبي عليه الصلاة والسلام وهو منها براء. ونختم قولنا هنا بسؤال :

161 -دين السلطان، ص: 928.

ما فائدة يوم القيامة والحساب إذا كان الحساب والجزاء في القبور ؟!.

القول الفصل :

قبل أن نولد، كنا أمواتاً وكانت أنفسنا وراء البرزخ، حيث لا يوجد شعور بالزمكان، وبعددخول النفس في الجسد لأول مرة، تبدأ حياتنا الأولى وهي الحياة الدنيا، ثم عند الموت، تخرج النفس من الجسد، لتعود إلى وراء البرزخ - باستثناء الشهداء - وهذه هي الموتة الثانية **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**.

إن الإنسان يغادر الحياة الدنيا بصورتين، إما بتوقف حياته الفيزيولوجية، فتخرج النفس التي يتوفاها الله عزوجل ويموت الجسم. أو يُقتل في سبيل الله وهي مكانة خاصة، فلا يموت صاحب هذه المكانة، بل يغادر الحياة الدنيا وينتقل انتقالاً إلى حياة أخرى غير حياة الدنيا ولا يعود إليها.

إن النفس إذا فارقت الجسد لا تعود إليه إلا يوم البعث كما تقرر الآية **{وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ}**، فكيف يقول قائل : بلا، فإنها ترجع للجسد في القبر أو أينما وُجد هذا الجسد (قُبِر أو لم يُقْبر) ؟!.

ثم كيف ينسب هذا القائل التناقض بين كلامه والآية للنبي عليه الصلاة والسلام ؟!!.

أليس الأولى أن نتبع القرآن القطعي على الروايات الظنية التي تعارض كتاب الله ؟.

فعندما نقول : الله توفى نفس فلان وفارق الحياة الدنيا فيعني بالضرورة أنه مات وهلك جسمه وفني وتحلل إلى تراب وعناصره الأولى ، وفقد فاعليته بالحياة الدنيا وتواصله بها إلى غير رجعة. يقول عزوجل **{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}** وفي آية أخرى

يقول سبحانه وتعالى **{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ}**.[162]

بعد كل ما سبق، يأتي يوم البعث، فتجتمع النفس والجسد مرة أخرى، لنحيا الحياة الثانية الخالدة، وهنالك يكون الحساب والجزاء**{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}**.

إن الآية **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖفَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** تشير بطريقة غير مباشرة للبرزخ، فاستيفاء النفس يكون في المنام وحين الموت، وهذا الاستيفاء يكون مؤقتا في المنام لأن النفس تعود مرة أخرى، عكس الموت حيث تمسك النفس التي قضى عليها الموت**{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖوَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖفَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**.

---

162 -انظر مقال نقاش حول الوفاة والموت لسامر إسلامبولي، بتصرف.

لقد أعطانا الله عزوجل صورة من صور البعث وأحداثه، خصوصا ما سيقوله الكفار، حيث سيخرجون من الأجداث وعليهم حالة الاستغراب، يتساءلون عمن بعثهم من مرقدهم **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}** فالكافر يستغرب من بعثه لأنه كذب ذلك قبلها، ويعترف بأنه كان في حالة رقود، فكيف يزعم هؤلاء أنه كان يعذب ؟ وهم يخالفون صريح القرآن. والخروج كان من الأجداث، حيث لا وجود للنار هنالك ولا وجود للعذاب. ونسألهم : هل من كان راقداً يتعذب عذاباً مادياً حسياً لا يشعر به ؟. فإن قالوا نعم، قلنا هذا عبث وتناقض، فكيف يكون المادي والحسي لا شعور فيه ؟!! وإن قالوا لا، فهذه نهاية دعواهم الباطلة.

وقد شبه الله عزوجل حالة رقود الموتى بحالة رقود فتية الكهف، وبعث الموتى مشابه لبعث أصحاب الكهف**{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}.** وكما هو معلوم، فإن الفتية ظلوا في قبورهم لمدة تزيد عن 300 سنة، في هذه المدة كانت أجسادهم في الكهف، لكن أنفسهم ووعيهم وإدراكهم كانوا خارج الزمان والمكان، لا تنطبق عليهم قوانين الطبيعة والفيزياء، ولهذا لم يعلم الفتية كم لبثوا بالضبط، هل هو يوم أم بعض يوم.

والكافر كذلك يظن أنه كان راقداً بعد خروجه من الأجداث، لأن نفسه كانت خارج نطاق الزمان والمكان، وكانت وراء البرزخ، وحالة الكافر مشابهة لحالة فتية الكهف، لذلك استعمل الله عزوجل نفس المفردات، فقد ذكر الله عزوجل الرقود والبعث لهما **{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن**

مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} {وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} لذلك فقد مروا بنفس التجربة، حسب ما توضحه المفردة القرآنية التي تصف الحال على ما هو عليه بالضبط، دون وجود عذاب أو نعيم أو حتى إحساس وشعور.

وهذا ما تؤكده آيات أخرى عديدة، فيوم الحشر يكون شعور الناس - من بداية الخلق إلى نهايته - كأن لم يلبثوا إلى ساعة من نهار، وهذا مشابه لحالة الرقود تماما. فلا شعور بالزمن أو بالاختلاف بين من نام 6 ساعات أو أكثر، وهناك من نام لأكثر من 18 ساعة وهو لا يدري ذلك، ونفس الأمر يقع للمرضى ولحالة فقدان الوعي»**الغيبوبة**«، لذلك سماها اليونان »**Coma**« وتعني النوم العميق.

إن الأرواح بعد الموت يجعلها الرحمن من وراء برزخ، كما قالت الآية، أي كأنها مجمدة هناك إلى أن تُنفخ من صور الحياة فتستفيق من جمودها، أي أنها غير واعية بالزمكان.والآيات التي تؤكد وتوضح أنه لا شعور بالزمن بالنسبة للنائم والميت كثيرة، نذكر منها قوله عز وجل**{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ**

بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا}.

ونعود للآية {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ}لنتساءل : هل من كان يتعذب في قبره بعذاب أليم وشديد، سيقسم أنه لم يلبث غير ساعة ؟. وهل عذاب الله عزوجل هين لهذه الدرجة ؟.

والقرآن على نقيض ذلك تماما، حيث يؤكد سبحانه وتعالى أن عذابه أليم شديد {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ} {مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}. ويتوعد الله عزوجل بني إسرائيل بالعذاب يوم القيامة، لا في القبور كما يزعم من يخالف القرآن.

وبما أن المسألة - ما بعد الموت - غيبية، فلا علم لأحد بها سوى الرحمن عز وجل وكتابه الكريم، لذلك فنحن لا نقول إلا ما قال القرآن، دون زيادة أو نقصان. ولن نسلك الطريق التي سلكها الطرف الآخر، حين أطلق لنفسه العنان في الحديث عن «عذاب القبر» و «منكر ونكير» و «الشجاع الأقرع» ... وجاؤوا بقصص من وحي خيالهم أو وحي خيال من سبقهم من رواة المقابر، لدرجة جعلت أغلبهم يستند للمنامات والأحلام، لا للدليل والبرهان، وهذا راجع لعدة علل، نفسية وعقدية ومعرفية ...

وكما ذكرنا سابقا، فالأمور الإيمانية وأمور العقيدة مذكورة في القرآن الكريم، حيث يقول عز وجل **{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}**وعذاب القبر غير موجود ضمن هذه المنظومة **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}** **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**.

إن الموت حقيقة مشاهدة كبرى في هذا الوجود، وهو مصير كل من له حياة في دار الدنيا. والمكلف لا يخلو من أمرين، إما يثاب ويدخل الجنة، وإما يعاقب ويدخل النار، ولا دار غير الجنة والنار، فلا وجود لعذاب في القبور كما يزعم هؤلاء، ولا عذاب دون حساب، ولا حساب إلا في الآخرة لا في القبر.

إن الجنة والنار لم توجدا بعد، ولا تنتظران يوم البعث كما يظن ويزعم البعض، فالقرآن يؤكد أن الجنة والنار ستتشكلان على أنقاض هذا الكون بعد النفخة الأولى. وحتى يحين وقت النفخة الثانية التي سيحصل فيها البعث، تكون الجنة والنار جاهزتين.[163]

{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ} **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}** **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}**.

وهذا الرأي هو ما عليه المعتزلة، وطائفة من الزيدية والإباضية، وبعض الشيعة ... وهو الصواب والأدلة القرآنية تشهد بذلك

163 -الكتاب والقرآن 241.

إن حقيقة هذا الأمر وما يقع للميت وما يراه ... تلخصه سورة واحدة، وهي سورة **الواقعة**، فهذه السورة العظيمة تنفي عذاب القبر، وتؤكد البعث وتؤكد أن الحساب بعد البعث لا قبله، وتصور لنا ما الذي يقع للميت لحظة موته **{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}**.

فإذا جاءت سكرة الموت بالحق التي هي مفارقة النفس للجسد، وعاينت الحقيقة التي كانوا بها يوعدون كما قال عزوجل **{فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}** وقال لنبيه **{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}** يعني الموت بعد مفارقة الجسد. وقال تبارك وتعالى **{كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون}** فإذاً الموت حكمة، إذ لا رجوع لها إلى ربها الرحمن الرحيم إلا بعد الموت، ولا وصول للنفس إلى ما وعد الله ورسوله إلا بعد مفارقتها الجسد **{يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية}** فإذا الموت حكمة ومنة من الله تعالى على عباده، بل بالموت سبب بقاء الحياة الجسدانية وسبب فناء الجسد.[164]

إن الإنسان في لحظات الموت يرى منظراً كالمنام (صورة ثابتة)، وهذا المنظر يختلف من إنسان إلى آخر **{أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ}**فهناك من يرى منظراً مريحاً**{فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}**وهناك من يرى منظراً مزعجاً**{وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ}**.وتبقى هذه الصورة الثابتة حتى يستفيق

164 -رسائل إخوان الصفا 41-3/42.

الإنسان يوم يُنفخ في الصور، ويعتقد أنه لم يلبث إلا بعض يوم**{قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ}**.

ثم ختم عزوجل الآية بقوله **{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}** ليؤكد أن ما سبق ذكره هو حق اليقين الذي يخالف الشك والظن، والحجة في قوله عزوجل لا في قصص القصاص كما يزعم أصحاب الرأي المخالف.

أما الحساب والجزاء فإنه واقع لا محالة بعد البعث، في يوم القيامة حيث لا تنفع لا ندامة ولا شفاعة ... يقول عزوجل **{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}** **{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}** **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** **{رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}**.

خاتمة

يُعتبر كتابي هذا بمثابة جواب على ما ورد في الكتب التي درستها حول «عذاب القبر» وأهمها :

- **إثبات عذاب القبر للبيهقي.**
- **التذكرة للقرطبي.**
- **أهوال القبول لابن رجب.**
- **الروح لابن قيم الجوزية.**
- **سؤال القبر للجميلي.**
- **عذاب القبر للشهاوي.**
- **الاعتدال في إثبات عذاب القبر ونعيمه لأبو صفية.**

لقد قرأت جل الكتب التي ناقشت الموضوع، سواءً مُصدّقة بهأو مُنكرةله. والمتأمل في كلام وأجوبة المؤمن بعذاب القبر على منكره، يلاحظ التكلف الشديد والتعسف الذي لا يقبله العقل ولا السمع كما وضحنا.

إن في القرآن حوالي 1900 آية تُناقض أو تَنفي **«عذاب القبر»** أو لا تتفق معه، ولا يُعقل أن نترك هذه الآيات القرآنية من أجل روايات بشرية، لا نستطيع أن نجزم أن النبي قالها. بل لن ندع كتاب ربنا عز وجل من أجل أحاديث مهما بلغ عددها وصحة سندها، إن خالفت القرآن كتابنا وعمدتنا. ولا نتزيد بشيء في أمر الغيبيات التي يقص الله علينا طرفاً من خبرها، ونقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه، وهو كافٍ بذاته لإثبات ما يعرض له من أمور.[165]

165 -في ظلال القرآن ص: 2634.

وقد وضحنا بالدليل أن المسألة موضوعة ومنسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام بهتاناً وزوراً، فهي مسألة مستحدثة بعده، واختلف رجال الدين حولها أصولاً وفروعاً، والأحاديث المستند إليها من طرف هؤلاء متناقضة متعارضة مع القرآن أولاً، ثم مع بعضها البعض.

إن عمدة أصحاب هذه العقيدة المزعومة هي الأحاديث لا القرآن الكريم، وقد وضحنا في الفصل الأول أن دوافع وضع وصنع أمثال هذه الأحاديث من طرف السلاطين ورجال السياسية، إشغال الناس ببعضهم البعض بدل مراقبة نظام الدولة وأفعالها، كي لا يتم إنكار مناكير السلطان الظالم، لذلك أصبح القص في المساجد هو أساس خطاب الدولة حينها للناس، فالقاص يأخذ دنانيره من السلطة ومعها الخطاب المراد أو النتيجة التي تبحث عنها الدولة تجاه الناس، إما بالإلهاء أو بالترهيب أو التخويف ... .

إن المسلم الذي يؤمن بعذاب القبر لا نُكفره ولا نخرجه من الدين أو الملة، فهو صاحب عقلية متناقضة، فهو ينتقد وينتقض وينتقص من أصحابكل الأديان والمِلل لأن فيها خرافات وأساطير لا يتقبلها العقل، ومع ذلك فإنه يَدينُ بِدينٍ، لا نعني الإسلام الحنيف، مليء بالخرافات والأساطير كعذاب القبروالمسيح الدجال والمهدي المنتظر ...وهو هنا كمن قيل عنه «حدث العاقل بما لا يعقل فإن صدق فلا عقل له».

جل ما ذكرته في هذا الكتاب من روايات -في المناقشات مع الطرف الآخر - لا أُلزم نفسي بها ولا أُؤمن بحجيتها من الأساس.فلماذا ذكرتها واستدللت بها ؟ ما تم ذكره فهو من باب الإلزام، فنحن نُلزم الطرف الآخر بما ألزموا به أنفسهممن روايات، أما القرآن الكريم فهو حجة وإلزام علينا وعليهم.

لقد حرصت على تحرير محل النزاعوإزالة الخلاف بتحرير المسألة على طريقة شيوخنا وأساتذتنا ... فحققت هذا الخلاف بجمع جل الأدلة من مختلف الفرق،ومناقشتها على منهج أهل العلم في الأمور الخلافية، لا عن طريق التشهيروالصياح كما يفعل البعض.ولكل شخص حرية اختيار

الموقف الذي انشرح له صدره ولا نقول إلا كما وصلنا في الحديث المنسوب للنبي عليه الصلاة والسلام «استفت قلبك واستفت نفسك وإن أفتوك وأفتوك».

بعد كل ما سبق، خلصنا إلى ما يلي :

- **عذاب القبر ليس بعقيدة دينية، بل هو خرافة مصرية قديمة، والقول به عبث.**
- **أساس هذه العقيدة هو عدم الإيمان بالبعث.**
- **لا توجد آية قرآنية صريحة في عذاب القبر، لذلك فليس لهذه العقيدة أصل بالإسلام.**
- **يوجد في التنزيل الحكيم ما يقارب 2000 دليل على بطلان هذه الخرافة.**
- **العقاب والثواب يكون بعد الحساب يوم القيامة كما نص القرآن على ذلك.**
- **بداية الخرافة كانت في العصر الأموي، ثم اشتدت في العصر العباسي.**
- **أحاديث عذاب القبر ومنكر ونكير والشجاع الأقرع ... أحاديث موضوعة مصنوعة لا أساس لها من الصحة، ومن العار نسبتها للنبي عليه الصلاة والسلام، ووضحنا أنها صناعة أموية متأثرة بالحضارات المجاورة السابقة.**
- **يستدل المؤمن بهذه الخرافة على أحاديث ضعيفة وآحاد، إما سنداً أو متناً أو معاً، والصواب عدم الاحتجاج بالحديث في باب العقيدة.**
- **لا تثبت العقيدة بالأخبار الآحاد ولا المتواترة إن وجدت، وتثبت بالقرآن فقط.**
- **يزعم صاحب الخرافة أن يهودية هي التي أخبرت عائشة بهذه العقيدة، مع أنه لا يوجد ذكر لعذاب القبر في أسفار اليهود وكتبهم.**

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمداني، حققه وقدم له عبد الكريم عثمان، دار العربية.
3- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبو القاسم البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي، اكتشفها وحققها فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر.
4- الكتاب والقرآن، محمد شحرور، دار الأهالي.
5- القصص القرآني، محمد شحرور، دار الساقي.
6- دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، محمد شحرور، دار الساقي
7- تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة.
8- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، إبراهيم مدكور، مكتبة الإسكندرية.
9- رسائل العدل والتوحيد، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار الشروق.
10- أكذوبة عذاب القبر والثعبان الأقرع، أحمد صبحي منصور.
11- أوهام عذاب القبر، أحمد عبده ماهر.
12- التمهيد، الباقلاني، تحقيق : رتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية.
13- أصول الكرخي، أبو الحسن الكرخي، طبع ضمن أصول البزدوي.

14- الخلافة الأموية دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام، فاروق عمر فوزي، دار الشروق.

15- النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تقي الدين المقريزي، تحقيق : حسين مؤنس، دار المعارف.

16- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد.

17- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق : صدقي جميل العطار، دار الفكر.

18- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : صدقي جميل العطار، دار الفكر.

19- مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي.

20- عذاب القبر، مجدي محمد الشهاوي، مكتبة الإيمان.

21- منة الرحمن، محمود عبد الرازق الرضواني، مكتبة سلسبيل.

22- اختصار علوم الحديث، ابن كثير الدمشقي، تحقيق : ماهر ياسين الفحل، دار الميمان.

23- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، تحقيق : مجموعة من المحققين، أوقاف قطر.

24- تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

25- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، تحقيق : يحيى الثمالي، دار عالم الفوائد.

26- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق : عادل الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية.

27- الآداب الشرعية، شمس الدين محمد بن مفلح، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة.

28- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
29- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.
30- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء الكتاب العربي.
31- معجم الطبراني، الطبراني، تحقيق : حمدي السلفي، مطبعة الأمة
32- تفسير الطبري، الطبري، تحقيق : بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.
33- الكبائر، شمس الدين الذهبي، مكتبة الفرقان.
34- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.
35- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، دار ابن حزم.
36- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله الرحيلي.
37- صحيح ابن حبان، ابن حبان، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار المعارف.
38- تأسيس التقديس، فخر الدين الرازي، تحقيق : أنس الشرفاوي وأحمد الخطيب، دار نور الصباح.
39- تقويم الأدلة، أبوزيد الدبوسي، تحقيق : محمد العواطلي، أوقاف الكويت.
40- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني، تحقيق : محمد محمد عبد اللطيف، المطبعة البهية.
41- تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، دار المنارة.
42- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرح : عبد الله دراز، دار الكتب العلمية.

43- سنن الدارمي، الدارمي السمرقندي، تحقيق : سيد إبراهيم وعلي محمد علي، دار الحديث.

44- تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

45- متن العقيدة الطحاوية، الطحاوي.

46- صحيح شرح العقيدة الطحاوية، حسن السقاف، دار الإمام الرواس.

47- هذه المقابر والعتبات، د. العثماني السلفي الهندي، ترجمة : سعيد أشرف الحسني الندوي.

48- القصاص والمذكرين، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق : محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي.

49- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف.

50- الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد أيوب الإصلاحي، دار عالم الفوائد.

51- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، مكتبة دار الزمان.

52- بردية حونفر.

53- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق : مجموعة من المحققين، أوقاف المغرب.

54- القبور، ابن أبي الدنيا، تحقيق : طارق محمد العمودي، مكتبة الغرباء الأثرية.

55- المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله معاذ ومحسن الحسيني، دار الحرمين.

56- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

57- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبو بكر البيهقي، تحقيق : أبو عبد الله أحمد أبو العينين، دار الفضيلة.

58- المحتضرين، ابن أبي الدنيا، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم.

59- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه هلموت ريتر.

60- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

61- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق : لجنة من العلماء، دار إحياء التراث العربي.

62- الدليل والبرهان، أبو يعقوب الوارجلاني، تحقيق : سالم بن حمد الحارثي.

63- برهان الحق، أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، مكتبة الكلمة الطيبة.

64- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم.

65- تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة.

66- تفسير البغوي، البغوي، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار طيبة.

67- تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

68- تيسير التفسير، إبراهيم القطان، مطابع الجمعية العلمية الملكية.

69- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الأنوار.

70- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.

71- الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري، مطابع سجل العرب.

72- تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، إعداد : سيد محمد الشنقيطي، دار الفضيلة.

73- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر.
74- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، تحقيق : محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل.
75- الجبائيان أبو علي و أبو هاشم، علي فهمي خشيم.
76- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
77- تحرير العقل من النقل، سامر إسلامبولي، دار العراب ودار نور حوران.
78- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق.
79- المستصفى، أبو حامد الغزالي، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية.
80- الإسلام وضرورة الحياة، عبد الله قادري الأهدل، دار المجتمع.
81- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ، تحقيق : مجموعة من المحققين، مكتبة لبنان ناشرون.
82- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
83- العواصم والقواصم، محمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
84- النهاية، أبو السعادات ابن الأثير ، تحقيق : محمود الطناحي وطاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي.
85- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.
86- السنة ودورها في الفقه الجديد، جمال البنا ، دار الفكر الإسلامي.
87- السنة بين الأصول والتاريخ، حمادي ذويب، المركز الثقافي العربي ومؤسسة مؤمنون بلا حدود.

88- الأربعين في أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق : أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

89- الفلسفة الانسانية في الإسلام، سهير فضل الله أبو وافية، مكتبة الثقافة الدينية.

90- استحالة وجود عذاب القبر، إيهاب حسن عبده.

91- خرافة عذاب القبر، ياسين ديناربوس.

92- عذاب القبر بين النفي والاثبات، أمين نايف ذياب.

93- قاعدة في الجرح والتعديل، تاج الدين السبكي اعتنى بها : عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية.

94- دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الغرباء الأثرية.

95- تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي، تحقيق : أبو قتيبة الفاريابي، مكتبة الكوثر.

96- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.

97- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

98- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي، دار المعارف العثمانية.

99- كتب الجرح والتعديل (كالمجروحين والثقات لابن حبان ولسان الميزان وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ...).

100- إنذار من السماء، نيازي عز الدين، دار الأهالي.

101- العباب الزاخر، رضي الدين الصغاني، تحقيق : قير محمد حسن، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

102- موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.

103- المعجم الغني، عبد الغني أبو العزم.

104- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، علق عليه : محمود محمد شاكر، دار المدني.
105- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق : علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
106- الفتاوى، العز بن عبد السلام، علق عليه : عبد الرحمن بن عبد الفتاح، دار المعرفة.
107- زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
108- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تعريف : محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى.
109- التراث السلفي تحت المجهر، نور الدين أبو لحية، دار الأنوار.
110- أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق : سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر.
111- موطأ الإمام مالك المحشى بحاشية كشف المغطا عن وجه الموطا، محمد إشفاق الرحمن الكاندهلوي، مكتبة البشرى.
112- سنن النسائي المسمى بالمجتبى وبهامشه حاشية السندي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق صدقي جميل العطار.
113- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
114- نهاية العقول في دراية الأصول، فخر الدين الرازي، تحقيق : سعيد فودة، دار الذخائر.
115- النبوات، ابن تيمية الحراني، تحقيق : عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف.
116- الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، اعتناء : محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية.
117- دين السلطان، نيازي عز الدين، دار الأهالي.
118- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، إخوان الصفا، مكتب

الإعلام الإسلامي.

119- إثبات عذاب القبر، أبو بكر البيهقي، تحقيق : شرف محمود القضاة، دار الفرقان.

120- التذكرة، شمس الدين القرطبي، تحقيق : الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج.

121- سؤال القبر، السيد الجميلي، دار البحار.

122- الاعتدال في إثبات عذاب القبر ونعيمه، عبد الوهاب رشيد أبو صفية، دار عمار ودار بيارق.

123- مقال نقاش حول الوفاة والموت لسامر إسلامبولي.

124- مجلة حواء، عدد: 132

125- مدونة رشيد الجراح.

فهرس الكتاب